

الفصل الأول

التحليل النظري لمفهوم الانتماء

يُعد الانتماء مفهوماً فلسفياً دينامياً، لا يمكن إدراكه إلا في ضوء مرحلة تاريخية بعينها، وفي إطار اجتماعي بذاته، فهو نتاج للعديد من المعطيات والمتغيرات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية والسياسية في المجتمع، كما أنه مفهوم نفسي ذو بُعد اجتماعي، وبافتقاده يشعر المرء بالعزلة والغربة، ويعتريه القلق والضيق وتنتابه المشكلات النفسية، التي لها تأثيرها على وحدة المجتمع وتماسكه.

وعلى ذلك فإن الفصل الراهن يتضمن المحاور التالية:

أولاً: مفهوم الانتماء وعلاقته بكل من: الانتساب، والولاء.

ثانياً: بعض النظريات التي تناولت الانتماء بصورة مباشرة في مجالات علم النفس العام، وعلم النفس الاجتماعي، والفلسفة وعلم الاجتماع المعاصر.

ثالثاً: استخلاصات حول الانتماء تتفق وبنية المجتمع المصري.

رابعاً: أنماط الانتماء.

خامساً: التحليل الفلسفي لبعض المفاهيم المرتبطة بمفهوم الانتماء - مدعمة ببعض الأدبيات والدراسات - خاصة مفاهيم: (الوعي، الهوية، الفردية، الحب، الوطنية، والاعتزاز بوصفه الوجه السلبي للانتماء).

أولاً: مفهوم الانتماء وعلاقته بكل من الانتساب، والولاء:

(١) تعريف الانتماء Belongingness:

يُرجع مختار الصحاح الانتماء "إلى أصل الفعل (نمى) ويقال نمى الحديث إلى فلان، أي أسنده له ورفعته، ونمى الرجل إلى أبيه أي نسبه وبابهما رمى، وانتمى هو (انتسب)، وقال الأصمعي نميت الحديث مخففاً أي ابلغته على وجه الإصلاح"^(١). وقد اتفق معه في نفس المعنى معجم لسان العرب الذي يردده "إلى الفعل نمى، والنماء بمعنى الزيادة، وأنميته أي عزوته ونسبته، وانتمى هو إليه، انتسب، وفي الحديث انتمى إلى غير مواليه، أي انتسب إليهم ومال وصار معروفاً لهم، ويقال نماء إلى جده، ارتفع إليه في النسب، أي رفع إليه نسبه"^(٢).

١- محمد بن أبي بكر عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، ط٥، القاهرة، وزارة المعارف، ١٩٢٦، ص ٦٨١.

٢- ابن منظور، لسان العرب، مجلد ١٤، بيروت، دار الإحياء العربي، ١٩٨٨، ص ٢٩٧.

وفي اللغة الإنجليزية اتفق كل من قاموس المورد^(١) وقاموس Webster^(٢) وقاموس Longman^(٣) على أن كلمة Belongingness مشتقة من الفعل Belong بمعنى ينتمي، أو ذو علاقة وثيقة، ويتمتع بالعلاقات الاجتماعية الضرورية للاندماج في الجماعة. ويعرف معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية الانتماء بأنه: ارتباط الفرد بجماعة ويسعى إلى أن تكون عادة جماعة قوية، يتقمص شخصيتها ويوحد نفسه بها (كالأسرة - النادي - الشركة ... إلخ)، كما يرى أن الانتماء مرتبط بالولاء Allegiance ويتفق في المعنى مع Loyalty وتستخدم هذه الكلمة للدلالة على العلاقات والعواطف الرومانتيكية والقانونية التي تربط الفرد بالجماعة أو رموزها Symbols، أو الإخلاص لما يعتقد الفرد أنه صواب (كالأسرة - العمل - الوطن)، ويرى أن الولاء يكون طبيعياً Natural ومفروض على كل مواطن نحو الوطن الذي يقيم فيه، مقابل تمتعه بالحماية والأمن، كما يكون الولاء محلياً أو واقعياً Local or Actual، وهو الولاء الذي ينتظر من الأجنبي نحو حكومة البلاد التي اختارها لإقامته^(٤). وقد اتفقت معه في نفس المعنى موسوعة علم النفس التي اتخذت من "التوحد دلالة على تمثل الفرد لجماعته وانتمائه لها، على أن يتوفر له الإحساس بالأمان والرضا والفخر والاعتزاز بها"^(٥)، ويؤكد نفس المعنى المعجم الشامل في مصطلحات علم النفس والتحليل النفسي الذي اعتبر الانتماء "اتجاهاً يستشعره الفرد من خلال اندماجه في جماعة، وتوحد به وأنه صار جزءاً مقبولاً منها، وله مكانته المتميزة، ووضعه الآمن بها"^(٦).

١- منير البعلبكي، المورد، بيروت، ١٩٧١، ص ٩٨.

2- Webster's, The Mew World Dictionary of American Language, Colloge Edition, Cleveland and New York, The World Publisher Company, P. 136.

3- Longman, Dictionary Contemporary English, New Edition, Longmans, 1987, P. 83.

٤- أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٨٢، ص ١٦، ص ٣٩.

٥- وليم الخولي، الموسوعة المختصرة في علم النفس والطب العقلي، ط ١، القاهرة، دار المعارف، ١٩٧٦، ص ٧٢. وفيها عرف الانتماء Belongingness بمعنى الانتمائية، وأنها تتضمن الانتماء أو الانسحاب وتعني شعور الفرد بأنه جزء من مجموعة أشمل (أسرة - قبيلة - حزب - أمه - جنسية... إلخ) ينتمي إليها، وكأنه يمثل لها أو متوحد معها، ويحس بالأمان والاطمئنان والفخر والرضا المتبادل بينه وبينها، وكان كل ميزة لها هي ميزته الخاصة.

6- English, H. B & English, A. C., A Comprehensive Dictionary of Psychological and Psychoanalytical Terms, New York, Longmans, 1958, P. 64

وهكذا يشير مفهوم الانتماء إلى الانتساب لكيان ما، يكون الفرد متوحدا معه، مندمجا فيه، باعتباره عضوا مقبولا منه ومتقبلا له، وله شرف الانتساب إليه، ويشعر بالأمان فيه، وقد يكون هذا الكيان جماعة، طبقة، وطن، واتضح كذلك ارتباط وتداخل الولاء مع الانتماء والذي يعبر الفرد من خلاله عن مشاعره تجاه الكيان الذي ينتمى إليه.

ولقد وردت في الانتماء آراء شتى للعديد من الفلاسفة والعلماء تنوعت بتنوع أبعاده ما بين فلسفي، ونفسي، واجتماعي - وسيرد ذلك تفصيلا في الفصل التالي - ففي حين تناول "ماسلو" Maslo من خلال الدافعية، اعتبره "إريك فروم" Fromm ، حاجة ضرورية على الإنسان إشباعها ليقهر عزله وغربته ووحشته، متقفا في ذلك مع "ماسلو"، و"ليون فستنجر" Leon Festinger الذي اعتبره اتجاها وراء تماسك أفراد الجماعة من خلال عملية المقارنة الاجتماعية. وهناك من اعتبره ميلا يحركه دافع قوى لدى الإنسان لإشباع حاجته الأساسية في الحياة.

وعلى الرغم من اختلاف الآراء حول الانتماء ما بين كونه اتجاها وشعورا وإحساسا أو كونه حاجة أساسية نفسية - لكون الحاجة Need "هي شعور الكائن الحي بالافتقار لشيء ما معين، وقد تكون هذه الحاجة فسيولوجية داخلية، أو سيكولوجية اجتماعية كالحاجة إلى الانتماء والسيطرة، والإنجاز⁽¹⁾ - أو كونه دافعا وميلا، إلا أنها جميعا تؤكد استحالة حياة الفرد بلا انتماء، ذلك الانتماء الذي يبدأ صغيرا بهدف إشباع حاجة الإنسان الضرورية منذ ميلاده، وينمو هذا الانتماء بنمو ونضج الفرد، إلى أن يصبح انتماء للمجتمع الكبير الذي عليه أن يشبع حاجات أفراد. ولا يمكن أن يتحقق للإنسان الشعور بالأمن والحب والصدقة إلا من خلال الجماعة، فالسلوك الإنساني لا يكتسب معناه إلا في موقف اجتماعي، وتقدم الجماعة للفرد مواقف عديدة يستطيع أن يظهر فيها مهارته وقدراته، ويتوقف شعور الفرد بالرضا الذي يستمد من انتمائه للجماعة من الفرص التي تتاح له كي يلعب دوره بوصفه عضوا من أعضائها، كما أن توحد الفرد بالجماعة يحقق له

1- English, H.B. & English, A.C. Op. Cit, P. 396.

المكانة والأمن والقوة وقد يكون لهذه الأشياء قيمة أكبر، إذا ما فشل الفرد في الوصول إليها بمفرده^(١).

أبعاد الانتماء:

ولما كان مفهوم الانتماء يُعد مفهوماً مركباً، ويتضمن العديد من الأبعاد، فإن البحث الراهن، سوف يركز على أهم أبعاد الانتماء، وهي كالتالي:

١- الهوية Identity :

يسعى الانتماء إلى توطيد الهوية، وهي في المقابل دليل على وجوده. ومن ثم تبرز سلوكيات الأفراد كمؤشرات للتعبير عن الهوية وبالتالي الانتماء.

٢- الجماعية Collectivism:

إن الروابط الانتمائية تؤكد على الميل نحو الجماعية، ويعبر عنها بتوحد الأفراد مع الهدف العام للجماعة التي ينتمون إليها، وتؤكد الجماعية على كل من التعاون Co-Operation، التكافل والتماسك Solidarity، والرغبة الوجدانية Sentimental في المشاعر الدافئة للتوحد Oneness، وتعزز الجماعية كل من الميل إلى المحبة، والتفاعل، والاجتماعية، وجميعها تسهم في تقوية الانتماء من خلال الاستمتاع بالتفاعل الحميم للتأكيد على التفاعل المتبادل.

٣- الولاء Loyalty:

الولاء جوهر الالتزام، ويدعم الهوية الذاتية، ويقوي الجماعية، ويركز على المسابرة، ويدعو إلى تأييد الفرد لجماعته ويشير إلى مدى الانتماء إليها، وكما أنه الأساس القوي الذي يدعم الهوية، إلا إنه في نفس اللحظة يعتبر الجماعة مسؤولة عن الاهتمام بكل حاجات أعضائها من الالتزامات المتبادلة للولاء، بهدف الحماية الكلية.

١- محمد فرغلي فراج، عبد السنار إبراهيم، السلوك الإنساني، ط١، القاهرة، دار الكتب الجامعية ١٩٧٤،

ص ص ١٣٨ - ١٤٣.

* سرد تفصيلاً للهوية كأهم المفاهيم المرتبطة بالانتماء ص ص ٧٠-٧٩.

٤- الالتزام Obligation:

حيث التمسك بالنظم والمعايير الاجتماعية، وهنا تؤكد الجماعة على الانسجام والتناغم والإجماع Consensus، ولذا فإنها تولد ضغوطا فاعلة نحو الالتزام بمعايير الجماعة لإمكانية الإقبال والإذعان كآلية رئيسة لتحقيق الإجماع وتجنب النزاع^(١).

٥- التواد:

ويعني الحاجة إلى الانضمام أو العشرة Affiliation، وهو من أهم الدوافع الإنسانية الأساسية في تكوين العلاقات والروابط والصدقات^(٢) ويشير إلى مدى التعاطف الوجداني بين أفراد الجماعة والميل إلى المحبة والعطاء والإيثار والتراحم بهدف التوحد مع الجماعة، وينمي لدى الفرد تقديره لذاته وإدراكه لمكانته، وكذلك مكانة جماعته بين الجماعات الأخرى، ويدفعه إلى العمل على الحفاظ على للجماعة وحمايتها لاستمرار بقائها وتطورها، كما يشعر بفخر الانتساب إليها^(٣).

٦- الديمقراطية:

هي أحد أساليب التفكير والقيادة، وتشير إلى الممارسة والأقوال التي يرددها الفرد ليعبر عن إيمانه بثلاثة عناصر:

أ- تقدير قدرات الفرد وإمكاناته مع مراعاة الفروق الفردية، وتكافؤ الفرص، والحرية الشخصية في التعبير عن الرأي في إطار النظام العام، وتمتية قدرات كل فرد بالرعاية الصحية والتعليمية والاجتماعية والاقتصادية.

ب- أن يشعر الفرد بالحاجة إلى التفاهم والتعاون مع الغير، وأن تتاح له الفرصة للنقد، وتقبل نقد الآخرين بصدق ورحب، وأن يكون الانتخاب وسيلة اختيار القيادات، مع الالتزام باحترام النظم والقوانين، والتعاون مع الغير في وضع الأهداف والمخططات

1- Lebra, Takie Sugiyama, *Japanese Patterns Behaviour*, Honolulu, University Hawaii Press, 1986, PP. 32- 33.

٢- طلعت منصور وآخرون، أسس علم النفس العام، القاهرة، الأجلو المصرية، ١٩٨٤، ص ١٣٥.

٣- شاعر عبد الحميد سليمان وآخرون، علم النفس العام، ط٢، القاهرة، دار أتون للنشر، ١٩٨٩، ص ص

التنفيذية وتقسيم العمل وتوزيعه ومتابعته. وهي بذلك تمنع الديكتاتورية، وترحب بالمعارضة، مما يحقق سلامة ورفاهية المجتمع.

ج- إتباع الأسلوب العلمي في التفكير^(١).

وفي ضوء ما سبق ذكره من آراء متعددة، وردت حول الانتماء، وجماعة الانتماء، يمكن استخلاص عدة خصائص، كمؤشرات لدينامية العلاقة الجدلية بين الانتماء وجماعة الانتماء.

العلاقة الجدلية بين الانتماء وجماعة الانتماء:

- الانتماء مفهوم نفسى، اجتماعى، فلسفى، وهو نتاج العملية الجدلية التبادلية بين الفرد والمجتمع أو الجماعة التى يفضلها المنتمى.
- باعتبار الانتماء ذا طبيعة نفسية اجتماعية، فإن وجود المجتمع أو الجماعة هام جدا كعالم ينتمى إليه الفرد، حيث يعبر عن الانتماء بالحاجة إلى التجمع، والرغبة في أن يكون الفرد مرتبطا، أو يكون في حضور الآخرين، وتبدو هذه الحاجة وكأنها عامة بين أفراد البشر.
- يفضل أن تكون جماعة الانتماء بمثابة كيان أكبر وأشمل وأقوى لتكون مصدر فخر واعتزاز للفرد، وأن يكون الفرد العضو في جماعة الانتماء في حالة توافق متبادل معها ليتم التفاعل الإيجابى بينهم.
- يعبر عن جماعة الانتماء بالجماعة المرجعية، تلك التى يتوحد معها الفرد ويستخدمها معيارا لتقدير الذات، ومصدرا لتقويم أهدافه الشخصية، وقد تشمل الجماعة المرجعية كل الجماعات التى ينتمى إليها الفرد كعضو فيها^(٢).
- أن يثق الفرد ويعتق معايير ومبادئ، وقيم الجماعة التى ينتمى إليها ومن ثم يحترمها ويلتزم بها.

١- فيليب إسكاروس، ديمقراطية سلوك المواطن المصري ودور التربية في تنميتها، القاهرة، المركز القومي للبحوث التربوية، ١٩٨٠، ص ٤٤، ص ٣٥.

٢- كرتيش، كرتشغيلد بالاتش، سيكولوجية الفرد والمجتمع، ترجمة سيد خير الله، حامد الفقى، القاهرة، الأبنجلو المصرية، ١٩٧٤، ص ص ٢١٢ - ٢١٤.

- على الفرد نصره الجماعة التي ينتمى إليها، والدفاع عنها وقت الحاجة، والتضحية في سبيلها إذا لزم الأمر مقابل أن توفر الجماعة له الحماية والأمن والمساعدة.
- أن يكون توحد الفرد مع الجماعة ضمن إطار ثقافي مشترك، وتعتبر اللغة والمعايير الثقافية الأخرى، عناصر أساسية للجماعة، ويتحدد مدى الانتماء بدرجة التمسك بها.
- الانتماء بمثابة حاجة أساسية (إنسانية، طبيعة سيكولوجية) في البناء النفسى، باعتباره خاصية نفسية اجتماعية.
- الانتماء متعدد الأنماط، اتساعا وضيقا، تباعدا، وتكاملا، وللتنشئة الاجتماعية دور إما في إضعاف الانتماء، أو تقويته، حيث عن طريقها يتشبع الفرد بالقيم المعززة للانتماء ومفردات الثقافة كاللغة والفكر والفن.
- يتأثر الانتماء بالظروف الاجتماعية والسياسية والاقتصادية السائدة، ولذلك فإن أنماط السلوك التي يصعب تفسيرها أو تبريرها . أحيانا ما تكون نتيجة لفشل الفرد في الشعور بالانتماء وإحساسه بالعزلة عن الجماعة.
- إذا أنكر المجتمع على الفرد إشباع حاجاته، قد يتخذ الفرد موقفا سلبيا، إن لم يكن أحيانا عدائيا للمجتمع، حيث يلجأ الفرد إلى مصادر بديلة، يوجه إليها اهتمامه وانتمائه، وقد تكون مصادر غير مرغوب فيها أحيانا، ولها عواقبها السيئة على كل من الفرد والمجتمع.
- لا انتماء بلا حب حيث هو جوهر الانتماء.
- يشير ضعف الانتماء إلى الاغتراب، وما يصاحبه من مظاهر السلبية واللامبالاة نحو المجتمع، وغالبا كلما زاد عطاء المجتمع لإشباع حاجات الفرد، كلما زاد لنتماء الفرد إليه، والعكس صحيح، وإن كان إلى حد ما.
- الانتماء يؤدي إلى نمو الذات وتحقيقها، وكذا تحقيق تميز الفرد وفرديته، وتماسك المجتمع.
- الانتماء يدعم الهوية باعتبارها الإدراك الداخلى الذاتى للفرد، محددة بعوامل خارجية يدعمها المجتمع، والانتماء هو الشعور بهذه العوامل، ويترجم من خلال أفعال وسلوك تتسم بالولاء لجماعة الانتماء أو المجتمع.

- الولاء متضمن في الانتماء، والانتماء أساس الوطنية.
 - للانتماء أبعاد عديدة حددها البعض بثمانية أبعاد: "الأمان - التوحد - التقدير الاجتماعي - الرضا عن الجماعة - تحقيق الذات - المشاركة - القيادة - الإطار المرجعي - وبينهما جميعاً قدر من الانسجام، ويمكن من خلالها دراسة دوافع الانتماء"^(١).
 - الانتماء - باعتباره قيمة جوهرية - متعدد المستويات، بتعدد أبعاد القيمة (وعى، وجدان، سلوك)، فهو مادي لحظة عضوية الفرد في الجماعة، ومعلن لحظة تعبير الفرد عنه لفظياً مؤكداً مشاعره تجاه جماعة الانتماء، وسلوكي عندما يتخذ الفرد مواقف سلوكية حيال جماعة الانتماء، وقد تكون هذه المواقف إيجابية تعبر عن قوة الانتماء، أو سلبية تعبر عن ضعف الانتماء.
 وانطلاقاً من أهمية هذا المفهوم في حياة البشر، والذي أعطاه العلماء والباحثون جل اهتمامهم، كان من الضروري إعداد وسائل تقيس السلوك والمشاعر المرتبطة بمظاهر الانتماء، قوة أو ضعفاً، مستندة في ذلك إلى نظريات علمية، ومن ذلك على سبيل المثال محاولة "ريتشارد م. لسي، ستيفن ب روبنز Richard M. Lee and Steven B. Robbins^(٢) التي استندت إلى نظرية علم نفس الذات للعالم "هل" H. Kohut's ١٩٨٤ Self Psychology Theory (1984) في تطوير مقياس الانتماء من خلال مقياس الترابط الاجتماعي Social Connectedness Scale، ومقياس التأمين الاجتماعي Assurance Scale. وجاءت أبعاد الأول (الترابط - التواد - العيشرة)، وأبعاد الثاني (التواد والعيشرة)، بما تتضمن هذه الأبعاد من قيم إيجابية.
 وكذلك حاولت إحدى الدراسات العربية تصميم مقياس للانتماء واستندت في تصميمه إلى سبعة عشر عنصراً - تمحورت في أربعة محاور (المشاركة - المسؤولية - تقبل

١- سحر الكحكي، دوافع الانتماء لدى بعض الشرائح الاجتماعية المختلفة، ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين

شمس، ١٩٨٨، ص ص ٢٥ - ٣٢.

2- Lee, Richard M. & Robbins, Steven B., "Measuring Belongingness the Social Connectedness, and Soical Assurance Scales", *Journal Counseling Psychology*, 1995, Vol. 42, No. 2, PP. 232 - 241.

أهداف ومعايير المجتمع، الفخر والاعتزاز بالمجتمع) - تقيس بها مدى الانتماء للوطن لدى سكان أحد الأحياء بالقاهرة^(١).

مما سبق عرضه نستخلص الباحثة تعريفاً نظرياً للانتماء للوطن مؤاده:

(هو اتجاه إيجابي مدعم بالحب يستشعره الفرد تجاه وطنه، مؤكداً وجود ارتباط وانتساب نحو هذا الوطن - باعتباره عضواً فيه - ويشعر نحوه بالفخر والولاء، ويعتز بهويته وتوحده معه، ويكون منشغلاً ومهموماً بقضاياها، وعلى وعى وإدراك بمشكلاته، وملتزمًا بالمعايير والقوانين والقيم الموجبة التي تلي من شأنه وتنهض به، محافظاً على مصالحه وثرواته، مراعيًا الصالح العام، ومشجعاً ومساهمًا في الأعمال الجماعية ومتفاعلاً مع الأغلبية، ولا يتخلى عنه حتى وإن اشتدت به الأزمات).

وعلى ضوء ذلك يتضح أن مفهوم الانتماء يعد مفهوماً مركباً، يشمل أبعاداً عدة، وهو كذلك يرتبط بعلاقات جدلية تبادلية مع عدد من المفاهيم الأخرى، منها على سبيل المثال (الانتساب، الولاء)، لذلك فإن الباحثة تعتقد في أنه من الأهمية بمكان تحليل هذين المفهومين، لكشف عما بينهما وبين مفهوم الانتماء من علاقات.

(٢) علاقة الانتماء بالانتساب:

يعنى الانتساب Affiliation: "حاجة الفرد إلى الارتباط مع شخص آخر، أو أشخاص آخرين، إما من أجل عمل مشترك يجمع بينهم، أو من أجل الصحبة أو من أجل الإشباع الجنسي"^(٢)، وأنه العلاقة الشرعية الشكلية أو التعاونية بين جماعتين أو أكثر، أو الانضمام إلى جمعية أو رابطة لمجرد التأييد والمساندة الأدبية، دون بلوغ حد العضوية العاملة^(٣)، وهكذا يتضح مكانة الانتساب وعلاقته بالانتماء، ففي حين يشير الانتماء إلى عضوية الفرد لجماعة الانتماء واندماجه فيها وتوحده معها، فإن الانتساب يشير إلى الارتباط والاهتمام والتعاون والصدقة مع الآخرين بهدف إشباع حاجات

١- محمد عبد الحى نوح، تصميم ودراسة مقياس لتحديد مدى انتماء السكان لمجتمعهم، دكتوراه، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، ١٩٨٠.

2- English, H. B. & English, A. C., Op. Cit., P.16.

٣- أحمد زكى بدوى، معجم مصطلحات الرعاية والتنمية الاجتماعية، مرجع سابق، ص ١٨.

الارتباط والاهتمام والتعاون والصدائة مع الآخرين بهدف إشباع حاجات الإنسان، وإن كان يشير إلى الانتماء باعتباره متداخلا فيه ومرتبطا به، ويعتبر أساسا لنجاح وتقوية الانتماء، حيث من أهم خصائصه الود الإخلاص والصدائة والاهتمام، خاصة إذا ما اتضح أن الانتساب في أحد معانيه العضوية هو القرب، كما ورد في مختار الصحاح: "إن فلانا يناسب فلانا يعنى أنه نسيبه أى قريبه، وانتسب إلى أبيه أى اعتزى إلى أبيه"^(١).

ويشير الانتساب والتواد إلى الانضمام أو العشرة والتعاطف الوجداني كضرورة هامة لعمليات التفاعل الاجتماعى، حيث ينمي تقدير الذات ومكانتها داخل الجماعة، ومكانة الجماعة بين الجماعات، والإدراك الذاتى لهذه المكانة، ومحاولة التغيير من أجل بقائها وتحسين أحوالها دائما للأفضل باعتبارها مصدر فخر له واعتزاز، وهذا ما أشارت إليه إحدى الدراسات من وجود ارتباط موجب بين التواد وتقدير الذات، وأن تقدير الذات ارتبط مباشرة بالإدراك الذاتى لمكانة الجماعة بين الجماعات^(٢).

(٣) علاقة الانتماء بالولاء Loyalty :

اتفق مختار الصحاح، ولسان العرب، في أن "الولاء من المولاة، وهى ضد المعادة، والولى هو اسم من أسماء الله تعالى بمعنى الناصر المتولى لأمر الخلائق، ويقال بينهما ولاء أى قرابة، والولى هو الصديق والنصير، والولاية بالفتح تعنى النصر"^(٣).
واتفق كل من قاموس Collins^(٤)، قاموس Longman^(٥)، قاموس Webster^(٦)،

١- محمد بن أبى بكر عبد القادر الرازى، مختار الصحاح، القاهرة، المطبعة الأمريكية ١٩٦٢، ص ٦٥٦.

2- Brown, B. Bradford & Loher, Mary Jane, "Pear Group Affiliation and Adolescent Self-Esteem. An Integration of Ego Identity and Symbolic Interaction Theories". *Journal of Personality and Social Psychology*, 1987, Vol. 52, No. 1, PP. 47 - 55.

٣- محمد بن أبى بكر، مختار الصحاح، ط٥ - عام ١٩٢٦، مرجع سابق، ص ٧٣٦. وانظر:

- ابن منظور، لسان العرب، مجلد ١٥، مرجع سابق، ١٩٨٨، ص ٤٠٠.

4- Cobuild, Collins: *English Language Dictionary*, London, Collins, P. 868.

5- Longman, Op. Cit., P. 24.

6- Webster's, Op. Cit., P. 854, P.870.

وقاموس Oxford⁽¹⁾ على أن الولاء Loyalty، يعنى موالى لشيء ما ويتفق مع كلمة Allegiance، بمعنى الإخلاص والطاعة والتأييد للقائد أو لفكرة ما، وأنها تعنى الشعور بالتأييد أو الواجب أو الصداقة تجاه شخص ما أو شيء ما، كما عرف القاموس الشامل لعلم النفس ومصطلحات التحليل النفسى الولاء بأنه اتجاه أو عاطفة من الارتباط والمودة الراسخة تجاه شخص ما، أو جماعة ما أو مؤسسة ما أو لفكرة ما⁽²⁾، متفقاً بذلك مع الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية، والتي أضافت أن الوجدان فيها يصبح مشعباً بالأمنيات المؤيدة لها، ومستعداً للتضحية في سبيلها، ووصفته "جوسيا رويس" Josiah Royce بأنه استعداد إردى وعلمى، يوجه وجدان الشخص إلى ذلك الشيء أو تلك القضية، ويعتبر الولاء كخطاب سياسى، القاعدة الأساسية بين كل من الوطنية Patriotism، وبين الالتزام Obligation، فهو قلب الوطنية، وجوهر الالتزام، فالولاء أكثر اعتدالاً في أسلوبه العاطفى، وأكثر عقلانية في أسسه وقواعده، وأقل شمولاً في موضوعه من الوطنية، وأكثر دفئاً، وأقل عقلانية، وأكثر شمولاً من الالتزام، والولاء كاتجاه Attitude يختلف في أبعاده عن أى اتجاه آخر، حيث يختلف في شدته، وعمقه ومدى بقائه، وفي اتجاهه Direction ومحتواه وقوته، وهو نسبي في نموه ومدى تغيره، حيث ينبثق من النسيج الاجتماعى⁽³⁾.

وعلى ذلك فالولاء شعور يتعلق بوجدان الفرد تجاه جماعة ما، أو فكرة ما، تأييداً لها، وطاعة وإخلاصاً وتضحية في سبيلها. وهو نفس المعنى الذى قالت به دائرة المعارف الأمريكية، حيث أكدت على أن الولاء هو: "الإخلاص والطاعة للحكومة مقابل حمايتها للفرد، وكان قديماً في عهد الإقطاع الولاء لصاحب المزرعة، أما الآن أصبح الولاء للدولة وللرموز الرئيسة فيها، كما يدين الأجانب بالولاء للبلاد المضيفة لهم، وفى ظروف بعينها يمكن اعتباره في ضوء القانون خيانة، وأن الشخص اللاجئ هو ذلك الشخص الذى بلا

1- Howkins, Joyce M. & Allen, Rubert. The Oxford Encyclopedia, English Dictionary, Oxford, Allen Clar Eudon Press, 1991.

2- English, H. B. & English, A. C., Op. Cit., P. 300.

3- Schaar, John H., "Loylty". In: Sills, David L. (Ed.), International Encyclopedia of Social Science, Vol. 9. 10, New York. London, Macmillan Co. & Free Prees, 1972, PP. 484 - 486.

دولة^(١)، وميثاق الولاء هو: "الإعلان عن الولاء للحكومة، أو لمؤسسة ما، أو لجماعة ما، وهو وسيلة للكشف عن مدى التأييد المحدد للهوية، ويستخدم الولاء ليعزز ويؤكد على السيادة العقيدية للحكومة"^(٢).

ولقد ساوى "جيوث شكلر" Judith N. Shklar، بجامعة هارفارد بين اللانتماء، والنفى، سواء كان هذا النفى بالإجبار أو نفيًا ذاتيًا، هاربا فيه الفرد من ذاته متوقعا حولها، واعتبر الولاء Loyalty مؤثرا جيدا يشير إلى مدى ترابط الجماعة الاجتماعية، كما أشار إلى أن القسم والميثاق Oath لا يعتبر قيذا شخصيا بقدر ما هو وعد يستتبعه الإخلاص الشخصي، والولاء الاجتماعي، وأن الطاعة تقضى بين الإخلاص والولاء، كما يساند الولاء الالتزام Obligation، ففي حالة تطابق الولاء للدولة والقومية، فإن الولاء القومي يدعم الالتزام تجاه الدولة وقوانينها، كما يعتبر الولاء الحزبي ضرورة لتدعيم المؤسسات الشعبية المختلفة^(٣).

واعتبر "ألبرت" Albert الولاء لمؤسسة ما، دلالة على الانتماء لها، وأن الولاء وظيفي في معظم حالاته، وقد يكون لا عقلانيا أيضا، كأن يجذب الفرد إلى حزب ما، أو فريق كرة ما، مع أنه لا يستحق كل هذا الانجذاب، وإن كان الولاء للأوطان دائما يتحقق بلا معاناة، لأن الأوطان عوالم غاية في التميز، وأن الولاء يتضح بصورة أكثر إذا كانت الأوطان متشابهة بقدر كبير في (التاريخ - اللغة - الثقافة)، عما إذا كانت تلك الأوطان ذات أصول متباينة.

وأشار "ألبرت" إلى أن الفرد الموالى لمؤسسة ما أو جماعة ما، لا يتخلى عن ولائه لها، وإن كان لا يشعر بالسعادة في ظلها، وإنما يحاول التعبير عن رأيه بحرية أكثر، وبأساليب متنوعة، ويمكن تحديد مدى ولاء الفرد لكيان ما من خلال إدراك أمرين هامين الأول: يمثل الولاء مع عدم تفكير الفرد في الخروج من الجماعة أو المؤسسة الموالى لها،

1- Murphy, John F., *Encyclopedia Americana*, Delux library Edition, Vol. I., 1940, P. 588.

2- Fellman, David, "Loyalty Oath". In *Encyclopedia Americana*, Americana lyttom, Vol. 17, 1997, PP. 822 - 823.

3- Shklar, Judith N., "Obligation, Loyalty, Exile", *Political Theory*, Vol. 21, No. 2, May 1993, PP. 181 - 197.

والآخر: يشير إلى مدى التدهور الذى أصاب الجماعة أو المؤسسة مما يجعل العضو يلوح بالانسحاب منها، ويساوم بهذا التلويح بغرض إحداث بعض التغيرات داخل الجماعة أو المؤسسة، وهنا يصبح التهديد - في حد ذاته - بمثابة سلاح خفى، قد يصلح من شأنها ويطورها للأفضل^(١).

وهكذا ساوى البعض بين "التجاذب نحو الجماعة، ومقاومة التخلي عن عضويتها، وبين الشعور بالانتماء والولاء لها، كدلالة على تماسك الجماعة، ونقل جاذبية الجماعة بالنسبة للفرد العضو فيها، إذا لم تشبع حاجته التى انضم للجماعة من أجلها، أو إذا تغيرت بحاجات أخرى أثناء عضويته في الجماعة، أو إذا حدث تغير في خصائص الجماعة عن طريق تعديل برنامجها أو تنظيمها الداخلى، أو طبيعة عضويتها، أو جوها الانفعالى، وبالمثل يمكن أن نتوقع ازديادا في جاذبية الجماعة نتيجة للتغيرات التى تتم فيها، وتزيد عن قدرتها على إشباع حاجات أعضائها"^(٢).

وعلى ذلك فالولاء اتجاه نفسى اجتماعى ذو جانب انفعالى عاطفى، وجانب سلوكى يدفع الفرد للقيام بسلوك معين نحو مصلحة ما، تتعلق بانتمائه للجماعة، هذا بالإضافة إلى جانبه المعرفى الذى يتمثل في إدراك الفرد للمفاهيم والقيم، التى يستند إليها شعوره بالولاء.

أى أن للولاء جانبا نفسيا ولا يمكن إدراكه إلا من خلال الواقع المعيش على المستوى السلوكى و اللفظى، والولاء في معظمه اتجاه شعورى، إلا أنه ذو أرضية لاشعورية ترتبط بمفهوم الحب، الذى تقوم عليه جميع الاتجاهات النفسية^(٣).

ولما كان الولاء يتعلق بالمشاعر والوجدان والعواطف تجاه من ينتمى إليه، ويؤكد على التفاعل الاجتماعى، فإنه ذو ارتباط موجب بالالتزام، وقد أكدت إحدى الدراسات على ذلك

1- Hirschman, Albert O., *Exit, Voice, and Loyalty, Responses to Decline in Firms, Organizations, and State*, Cambridge, Massachusetts, Harvard University Press, 1970, PP. 79 - 90.

٢- لويس كامل ملكية، مرجع سابق، ص ١٥٢.

٣- عبد العزيز عبد المنعم عبده حسانين، تنمية الاتجاهات الإيجابية نحو الولاء للوطن لدى الأطفال في سن السابعة من العمر، ماجستير، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، ١٩٨٩، ص ص ٢٠-٢١، ص ٢٤.

حين تناولت بالبحث في مدى العلاقة الارتباطية بين الولاء النقابي، والأداء الجيد، من خلال الالتزام النقابي، حيث كشفت عن وجود ميل لدى أعضاء النقابة القدماى للولاء النقابي أقوى من الأعضاء الجدد، مما يؤكد وجود ارتباط موجب بين العمر والمعاشية، والولاء النقابي، والالتزام به، ومتطلبات ذلك الالتزام، كما أشارت إلى وجود علاقة إيجابية بين الأداء النقابي والولاء النقابي، فكلما زاد الولاء زاد الأداء النقابي، وكذلك وجود ارتباط موجب بين ممثلى النقابة، والولاء النقابي، فكلما زاد تأييد ممثلى النقابة ومساندتهم، زاد الولاء للنقابة، خاصة إذا كان لهم دور فعال في التطوير والتأثير على الولاء للنقابة، وتنمية الاتجاهات الإيجابية نحوها، ويشير مدى ولاء أعضاء النقابة إلى نجاحها وقوة فاعليتها في إنجاز مهامها"⁽¹⁾.

وهكذا يتضح ارتباط الالتزام والولاء بالأداء ومن ثم الانتماء، حيث الولاء يدعم مستوى الأداء الذى يؤكد بدوره على مدى وجود الانتماء.

استخلاصا مما سبق يمكن إجمال الفرق بين الولاء، والانتماء، وتأكيد العلاقة الإيجابية المتداخلة بينهما فيما يلى:

- في حين يركز الانتماء على عضوية الفرد لجماعة ما، والاندماج فيها، والتوحد معها، يتجاوزها الولاء ليشمل فكرة ما، أو قضية ما، فيمكن أن يكون الولاء لجماعة لا ينتمى إليها الفرد.

- بينما يركز الانتماء على جماعة يكون الفرد متقبلا لها ومقبولا منها، يركز الولاء على الصلات والعواطف الرومانتيكية والقانونية التى تربط الفرد بالجماعة أو الفكرة أو القضية.

- في حين يركز الانتماء على العضوية، يركز الولاء على المشاعر والعواطف تجاه الجماعة باعتباره رابطة وجدانية، واستعداد إرادى، يتخذ العديد من الصور منها: الطاعة، الالتزام، الإخلاص، الواجب، الصداقة، ولهذا فهو يقوى الانتماء وينميه.

1- Johnson, W. Roy & Jonson, Gloria, "Union Performance and Union Loyalty, the Role Perceived Steward Support", *Journal of Applied Social Psychology*, 22, 9, 1992, PP. 677 - 690.

- الانتماء يحتوى جزءا من الموضوع بالوجود المادى، أما الولاء يحتوى الموضوع كله وجدانيا وسلوكيا، سواء أكان الاحتواء نظريا أم عمليا.

- وهناك فرق آخر بين الانتماء والولاء حيث الولاء: "اتجاه ذو طبيعة كامنة داخل الفرد يدفعه في سلوك لفظى أو عملى تبعا لمواقف معينة، وينطبق نفس الأمر على الانتماء، إلا أنه يبدو أن كمون اتجاه الانتماء للوطن أكبر بكثير من كمون اتجاه الولاء للوطن، مثال ذلك الفرد الذى يترك بلده ويسافر للعمل بالخارج، ثم يعود إلى وطنه وهو لا يعرف لماذا يعود في هذا التوقيت، إن الباعث هنا هو الانتماء، وآخر يترك بلده ويسافر للعمل في الخارج، ويعود لوطنه، وهو يعرف لماذا يعود، وماذا سيفعل، إنه الولاء، والفرق بين الانتماء والولاء، هو الفرق بين من لا يعرف، ومن يعرف، أى أن بعد الوعى الذاتى الاجتماعى الثقافى - حيث المعرفة تشير إلى الشعور - هو البعد الذى يضاف لصالح الولاء ليميزه عن الانتماء الذى يقع نسبة كبيرة منه في حيز اللاشعور"^(١).

ثانيا: بعض النظريات التي تناولت مفهوم الانتماء:

(١) الانتماء في مجال علم النفس العام وعلم النفس الاجتماعى:

باختلاف تناول العلماء لمفهوم الانتماء، تعددت النظريات المرتبطة بهذا المفهوم، سواء كان ذلك بصورة مباشرة، أو غير مباشرة، من خلال تناولهم للمفاهيم المختلفة، فمنهم من اعتبره حاجة، ومنهم من اعتبره دافعا، ومنهم من اعتبره ميلا، وهناك أيضا من اعتبره شعورا وإحساسا، ومنهم من اعتبره اتجاها.

ومن النظريات التي تناولت الانتماء على أنه بمثابة اتجاه: نظرية "التفافر المعرفى" للعالم "ليون فستنجر" Leon Festinger، حيث أشارت إلى أهمية المكونات المعرفية فى تدعيم أو تغيير الاتجاه، وأكدت على أهمية الاتساق المعرفى، والذي لم يتحقق إلا بازالة التفافر المعرفى.

١- عبد العزيز عبد المعتم عبده حسنين، مرجع سابق، ص ص ٢٧-٢٨.

كذلك تناولت نظرية "التحليل النفسي" لـ "سيجموند فرويد" S. Froid الانتماء بصورة غير مباشرة، وبوصفه اتجاها، ومشيئة إلى أهمية المكونات الوجدانية في تغير الاتجاهات وتدعيمها.

كما أشارت نظرية "الدعم السلوكية" إلى أهمية العملية السلوكية في تغير أو دعم الاتجاهات، وأكدت على دور الدعم في خفض توتر الحاجة الذي يؤدي إلى تحقيق الاتساق مما يسهم في تغير السلوك.

كذلك تناول العديد من العلماء الانتماء من خلال نظرياتهم حول "الشخصية الإنسانية"، وخاصة كل من "ألفريد أدلر" A. Adler، "كارين هورني" K. Horny، "هاري ستاك سوليفان" H. S. Sullivan حيث أكدوا على أن الإنسان كائن اجتماعي من الضروري أن يرتبط بالآخرين برباط من الحب والتقبل، حيث لا يستطيع أن يحيا بمعزل عن الآخرين، فهو نتاج التفاعلات الاجتماعية، وعليه أن ينشغل بأنشطة اجتماعية إيجابية ليحيا حياة اجتماعية سوية.

كما تناول "ماسلو" A. Maslo الانتماء بصورة مباشرة في سياق نظريته، واعتبره من أهم الدوافع الإنسانية، وقرنه بالحب، وتوسط به هرمه الخاص بالحاجات الإنسانية.

كذلك تناول "إريك فروم" Erick Fromm الانتماء بصورة مباشرة في سياق نظريته للحاجات، واعتبره من أهم الحاجات التي تؤكد اتصال الفرد بالآخرين، ليتجاوز عزلته ووحدته، وينتمي إلى شئ أكبر من نفسه، وهو مدرك لذاته، مؤكدا على أهمية الحب والمشاركة الإيجابية ليصبح الفرد واحدا من الكل، له أنشطته الاجتماعية التعاونية، وعلاقاته الإنسانية الإيجابية الناجحة.

وأكد "ليون فستنجر" مرة أخرى وبطريقة مباشرة على أهمية الانتماء، وتناوله من خلال نظريته "المقارنة الاجتماعية" مشيرا إليه كاتجاه له أهميته في عملية المقارنة الاجتماعية، التي لها أثرها على الذات الإنسانية، لما لها من دور في تحقيق التوحد والاندماج، وتماسك أفراد الجماعة^(١).

١- للمزيد حول هذه النظريات راجع:

- منيرة أحمد حلمي، ثلاث نظريات في تغير الاتجاهات، القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٧٧، ص ١٢ - ٢١.

والدراسة الراهنة تتناول بشئ من التفصيل النظريات الثلاث الأخيرة، حيث تناولت الانتماء بصورة مباشرة، وكانت أكثر ارتباطا وتحليلا لمفهوم الانتماء.

أ- نظرية أبراهام ماسلو Abraham Maslo للحاجات:

يرى "ماسلو" أن إشباع الحاجات الإنسانية يخضع لأولية تعبر عن مدى أهمية الحاجة، فجاءت الحاجات الفسيولوجية في بداية هرمه، تليها الحاجة إلى الأمن، ثم توسط هرمه الحاجة إلى الانتماء وقرنه بالحب بمعناه الواسع، مشيرا إلى أهميته كحاجة أساسية، يحقق المرء ذاته من خلالها، وأكد ماسلو أن الإنسان "قد يصبح معاديا للمجتمع إذا أنكر عليه المجتمع إشباع حاجاته الأساسية"^(١).

وجاء تصنيف "ماسلو" للدوافع البشرية في إطار نظريته، ونظمها في شكل هرمي، ورغم تأكيده على كلية الفرد، إلا أنه يتصور الحاجات مرتبة وفقا لنظام هرمي يمتد من أكثر الحاجات فسيولوجية، إلى أكثرها نضجا من الناحية النفسية، واستند في نظريته على عدد من المسلمات، منها: أن الحاجات مرتبة ترتيبا هرميا على أساس قوتها، وعلى الرغم من أنها جميعا حالات فطرية، إلا أن بعضها أقوى من الآخر، وكلما انخفضت الحاجة في ترتيبها التنظيمي، كانت أكثر قوة، وكلما ارتفعت كانت أضعف، ومميزة بدرجة أكبر، ويعتبر هذا التدرج هو تدرج الإلحاح من أجل الإشباع، ولأن الفرد يتطلع للحصول على أشياء مختلفة، فلا تشبع الحاجات كاملة، فما أن تشبع حاجة وتقل أهميتها، تظهر حاجة أخرى، وتظل هذه العملية مستمرة لا تنتهي، بهدف جعل الفرد دائما في حالة تعبئة مستمرة من الطاقة، وتتوقف الحاجة بعد إشباعها عن دفع سلوك الفرد الذي يتحرك عندئذ بتأثير حاجات أخرى لم تشبع، كما أن الحاجات تتداخل فيما بينها ما دامت لا تختفي، ولا تشبع إلا جزئيا. وحدد "ماسلو" هذه الحاجات، من قاعدة التنظيم الهرمي إلى أعلى على النحو التالي:

- - محمود السيد أبو النيل، علم النفس الاجتماعي، دراسات مصرية وعالمية، القاهرة، الجهاز المركزي للكتب

الجامعية والدراسية والوسائل التعليمية، ١٩٧٥، ص ٤٧٠ - ٤٩٠.

- كالفن هول، جاردنر ليندزي، نظريات الشخصية، ترجمة فرج أحمد فرج وآخرون، القاهرة، الهيئة المصرية العامة

للألياف والنشر، ١٩٧١، ص ١٥٩ - ١٩٥، ص ٦٤٥ - ٦٨٣.

١- المرجع السابق، ص ٤٢٤.

الحاجات الفسيولوجية - حاجات الأمن - حاجات الحب والانتماء - حاجات التقدير - وتعتلى قمة الهرم تحقيق الذات. وقال في الحاجة إلى الانتماء والحب إن الفرد يدفع بالحاجة إلى التواد، وإن الناس في حاجة إلى أن يكونوا موضع حب ويحبوا، وإذا لم تشبع هذه الحاجة، فإن الفرد يشعر بالوحدة والخواء، لأنه يكون مدفوعاً بجوع لا يشبع إلا بالاحتكاك والصداقة الحميمة والانتماء، والحاجة إلى أن يتغلب على مشاعر الاغتراب، والوحدة والغربة والعزلة التي سادت نتيجة للحراك، ولتحطيم الجماعات التقليدية، ولبعثرة الأسرة، ولل فجوة بين الأجيال، وللتحضر المستمر ولاختفاء علاقة الوجه للوجه.

كما يرى "ماسلو" أن الشخص الذي يمر صاعدا بهذه المستويات من الحاجات، وفي مستوى الحب والاعتزاز بالذات ويشبعها نسبياً، يصبح أكثر تقبلاً للذات ودراية بها، وأقل انقساماً على نفسه، وتزيد تلقائيتها وتعبيره الصادق عن نفسه، فيكون أكثر استقلالية وواقعية، بل أكثر قدرة على التعاطف الوجداني مع الآخرين، والحب والاندماج معهم^(١).

وعلى اعتبار أن الدافعية بمثابة استثارة وتوتر داخلي تثير السلوك وتدفعه إلى تحقيق هدف معين، فالانتماء من أهم الدوافع الخارجية التي تدفع الفرد للقيام بأفعال معينة إرضاء للمحيطين به للحصول على تقديرهم، أو للحصول على نفع مادي أو معنوي^(٢).

وهكذا أكد "ماسلو" على أهمية الحاجات الأساسية بوصفها حاجات متداخلة ولا تشبع إشباعاً كاملاً، وقرن الحاجة إلى الانتماء بالحب، للتغلب على مشاعر الوحدة والاغتراب، والسعي إلى الترابط والاندماج مع الآخرين.

ب- نظرية إريك فروم Erick Fromm للحاجات:

وأشار "إريك فروم" إلى أن "فهم النفس البشرية يقوم على تحليل حاجات الإنسان، وقد صنف هذه الحاجات إلى خمس حاجات وهي كالتالي: الحاجة إلى الانتماء - الحاجة إلى

١- شاكِر عبد الحميد سليمان وآخرون، مرجع سابق، ص ٤٥٣ - ٤٥٥.

- فاطمة سالم سعيد العامري، مدى فاعلية برنامج إرشادي في تنمية تحقيق الذات لدى عينة من طلاب كلية التربية، جامعة الإمارات؛ ماجستير، كلية التربية، جامعة عين شمس، ١٩٩٣، ص ٦٥ - ٧٠.

- أحمد صقر عاشور، السلوك الإنساني في المنظمات، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٥، ص ٧١-٧٥.

٢- شاكِر عبد الحميد سليمان وآخرون، مرجع سابق، ص ٤٢٤، ص ٤٤٢.

التعالى والسمو - الحاجة إلى الارتباط بالجنور - الحاجة إلى الهوية - الحاجة إلى إطار توجيهي^(١)، واعتبر فروم الانتماء إحساسا وشعورا، وأن الحاجة إليه هى الحاجة إلى كيان أكبر، وأشمل، وأقدر، يستمد منه الفرد الشعور بالقوة، وما دام الإنسان كيانا له جسم وعقل، فلا مناص من أن يواجه ثنائية وجوده بالتفكير وبعملية الحياة أيضا، وبمشاعره وأفعاله، وعليه أن يسعى جاهدا إلى تجربة الاتحاد والوحدة في كل حالات وجوده ليصل إلى توازن جديد، وأن يخلق أشكالا خارج نفسه ليرتبط بها، تحل محل الارتباط بالأسرة مثل (القبيلة - الأمة - الجيش - الدولة - الطبقة الاجتماعية - الحزب السياسى... وسلتر الأشكال الأخرى من المؤسسات والمنظمات)، حيث لا يبلغ الإنسان إنسانيته الكاملة إلا بان يكون حرا مستقلا وغاية في حد ذاته لا وسيلة لأغراض شخص آخر، وينبغى عليه أن يرتبط مع إخوانه من البشر، مدفوعا في ذلك بالحب، لأنه إذا لم يشعر بالحب كان كالفوقية الخاوية حتى في حالة امتلاكه القوة والذكاء والثروة جميعا^(٢).

ويرى "فروم" أنه في حال عزلة المرء عن اتصاله بمن حوله، يصبح في حالة انفصال عن وجوده، وغريبا عن نفسه وذاته، لأنه ليس صانعا لعالمه، ولا يستطيع التحكم فيه، بل وربما تفرض الأشياء سيادتها عليه، ومن ثم يضطر للخضوع لها، ومن هنا فهو غريب عنها، مفتقد هويته، ويعانى من قسوة الوحدة والاعتراب، نتيجة لفقده ذاته وانفصاله عن وجوده وعالمه^(٣).

ويرى "فروم" أن كلا من النظامين الرأسمالى والشيوعى يحاول أن يجعل الإنسان آلة، مجردا من الهوية للمجتمع، والدمرة للذات، ولا يتردد فروم في وصم مجتمع بأسره بـ (المرض)، عندما يخفق في إشباع الحاجات الأساسية لأفراده^(٤).

١- إريك فروم، الإنسان بين المظهر والجوهر؛ ترجمة سعد زهران، عالم المعرفة، ع ١٤٠، الكويت، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، أغسطس ١٩٨٩، ص ١٠.

٢- إريك فروم، الدين والتحليل النفسى؛ ترجمة فؤاد كامل، القاهرة، مكتبة غريب، ١٩٩٢، ص ٢٧، ص ٧٠-٧٥.

٣- إريك فروم، المجتمع السليم، مرجع سابق، ص ص ٣٠-٣٢. وللمزيد راجع: Fromm, Erick. **The Sane Society**; New York, Fawcette Premier, 1969, PP.141-143.

٤- إريك فروم، الإنسان بين المظهر والجوهر، مرجع سابق، ص ١١.

وحدد "فروم" حاجات الإنسان بخمس حاجات، جاء في مقدمتها الحاجة إلى الانتماء، بوصفه شعورا وإحساسا لدى الفرد، وأنه يستطيع أن يرتبط بالآخرين بروح من الحب والعمل المشترك، أو أن يجد الأمن في الخضوع للسلطة، والامتثال للمجموع، وفي الحالة الأولى يستخدم الفرد حريته لتنمية مجتمع أفضل، وفي الحالة الثانية يكتب قيّدا جديدا، ويرى "فروم" أن الحاجة إلى الانتماء تنبع من أن الإنسان تمزقت لديه عرى الوحدة الأولية بالطبيعة، في حين أن الحيوان قد زود بما يواجه به الظروف التي يقابلها، أما الإنسان - بما يمتلك من قدرة على التفكير والتخيل - فقد فقد هذا الاعتماد والتفاعل الوثيق بينه وبين الطبيعة، التي توجد لدى الحيوان، وأصبح على الإنسان أن ينشئ علاقاته الخاصة به، وأكثرها تحقيقا للإشباع، وهي تلك العلاقة القائمة على الحب المثمر، الذي يتضمن دائما الرعاية المتبادلة والمسئولية والاحترام والفهم.

ويشير "فروم" إلى حاجة الإنسان إلى التعالي والسمو فوق طبيعته الحيوانية، ليصبح شخصا مبدعا، وإذا ما احبطت هذه الدوافع المبدعة، فالإنسان يصبح مدمرا، كذلك فالإنسان أيضا في حاجة إلى الارتباط بالجذور ليظل جزءا متكاملًا مع العالم، وأن يشعر أنه منتم، فالمرء يجد أشد جذوره تحقيقا للإشباع، وأكثر صحة، في شعوره بالأخوة، التي تربطه بغيره من البشر حوله، ولكن مع ذلك فهو يرغب في الإحساس بالهوية، وأن يكون فريدا متميزا، فإن عجز عن تحقيق هذا الهدف بجهوده الذاتية المبدعة، فقد يحقق قدرا من التميز عن طريق التوحد بشخص آخر أو جماعة، فنجد الفرد أحيانا يتوحد مع وطنه، والعامل يتوحد مع شركته، وفي هذه الحالة ينشأ الشعور بالهوية من خلال الانتماء إلى الآخر وليس من كون الفرد شخصا ما. كما يشير "فروم" إلى حاجة الإنسان إلى إطار مرجعي، كطريقة ثابتة ومستقرة في إدراكه للعالم حوله وفهمه له، وربما يكون هذا الإطار رشيدا أو غير رشيد، أو كلاهما معا. ويرى فروم أن هذه الحاجات إنسانية موضوعية خاصة، تمثل جزءا من طبيعة الإنسان، ومن خلال الترتيبات الاجتماعية التي يعيش الإنسان في ظلها، تستطيع هذه الحاجات أن تعرب عن نفسها، وعن الطرق العقلية التي

تتحقق بها، لأن شخصية الإنسان تنمو في نطاق الفرص التي يتيحها له المجتمع الذي يعيش فيه^(١).

وهكذا اعتبر "فروم" الانتماء حاجة أساسية إنسانية ضرورية لحياة الإنسان، ولكنها أيضا موضوعية، تتأثر بالبناء والظروف المجتمعية التي يعيش فيها الفرد.

ج- نظرية ليون فستنجر Leon Festinger للمقارنة الاجتماعية:

تعد هذه النظرية أساسا يودى بالفرد إلى معرفة قدرات الآخرين وقيمتهم، وأفكارهم، ومن خلال التفاعل الإيجابي بينهم، يمكنه اكتساب قيمهم وأفكارهم ومعتقداتهم، مما يشير إلى انتمائه لهم، فالانتماء لا يتحقق إلا بالتفاعل الإيجابي مع الآخرين، وتفترض عملية المقارنة الاجتماعية، ضرورة وجود قدر من التشابه بينه وبين من يقارن نفسه بهم، وهناك بعض من الدراسات، اعتبرت المقارنة الاجتماعية أحد أبعاد الانتماء.

وملخص هذه النظرية أننا (نعيش في عالم نحتاج فيه لمعرفة قدراتنا وإمكاناتنا، ونحتاج إلى تقييم أنفسنا، كما نحتاج لمعرفة آرائنا وأحكامنا ومعتقداتنا واتجاهاتنا) ويرى فستنجر أنه لكي يكون هناك توحيد بالجماعة من جانب أعضائها، فلا بد وأن تكون هناك وحدة في اتجاهات وسلوك هؤلاء الأعضاء، ويعتمد تحقيق أهداف الجماعة على مدى التعاون السائد بينهم، كما أن المعايير التي تؤمن بها الجماعة قد تتمثل في الواقع الاجتماعي Social Reality لأعضائها، إذ أن بعض معتقدات الشخص لا يمكن تصديقها بالوسائل الموضوعية، أو المحكات المنطقية، وذلك لأن صحة وصدق هذه المعتقدات تتكون بالاتفاق عليها، وما يشهد على صحتها هو أن الآخرين لديهم نفس المعتقدات إلى جانب تعضيد المعايير لأهداف الجماعة وتفسيرها، وإن كان دائما التشابه في الاستجابة ليس نتيجة لاستجابة الأفراد لمعايير الجماعة، ولكن قد يكون نتيجة لحاجة الفرد لصورة دقيقة عن عالمه الخارجي، فيعرف من خلالها الاختلاف بين إدراكه وتفكيره وإدراك الآخرين وتفكيرهم^(٢).

١- كالفن هول، جاردنر ليندزي، مرجع سابق، ص ١٧٣ - ١٧٥.

٢- محمود السيد أبو النيل، مرجع سابق، ص ٤٨٧.

وللمقارنة الاجتماعية أثرها على تقدير الذات، وقد أشارت إحدى الدراسات إلى عملية المقارنة الاجتماعية باعتبارها مصدرا لعدم ثبات واستقرار تقدير الذات، وافترضت لذلك ثلاثة فروض هي:

- ١- أن من لديه سمات شخصية مرغوبة بدرجة عالية، لديه انخفاض في تقدير الذات، وإذا كانت سمات الشخصية غير مرغوبة، يرتفع تقدير الذات.
- ٢- أن ارتفاع تقدير الذات أو انخفاضه يكون بدرجة أعلى عندما تكون فائدة المقارنة مرتفعة، عكس المنخفضة.

٣- أن ارتفاع تقدير الذات أو انخفاضه يكون أعلى عندما يفقد الفرد مفهوم التآلف الذاتي *Inconsistent Self-Concept*، أكثر مما لو كان لديه هذا المفهوم.

وكانت عينة هذه الدراسة ٧٨ طالبا في مرحلة التخرج بجامعة ميتشيغان الأمريكية، الذين تم اختيارهم عشوائيا من خلال المتقدمين لإعلان منشور عن وظيفة بعينها، وقام المبحوثون بملي عدة استمارات تتعلق بتقدير الذات، وهي استبيانات طورت كجزء من دراسة بعنوان (أساليب جدلية لاختيار الأفراد للوظائف) وتضمنت عبارات من قائمة كوبو سميث 1959 Cooper Smith لتقدير الذات، وأسفرت الدراسة عن عدة نتائج منها:

- إن الشخص المرغوب فيه اجتماعيا، نتاج انخفاض دال ذا معنى في تقدير الذات، بينما الشخص غير المرغوب اجتماعيا يدعم ويعزز بدلالة تقدير ذات الآخرين حوله.
- من لديهم انخفاض في التآلف الذاتي *Self Consistency* (اتساق)، هم الأكثر تأثرا بوجود الآخرين.

- كلما كانت المقارنة الاجتماعية عالية، كان التشابه أعلى، وكلما زاد التشابه بين الأفراد فإن ذلك يؤدي إلى تعزيز تقدير الذات، بينما الاختلاف وعدم التشابه يؤدي إلى تقليل تقدير الذات^(١).

من خلال العرض السابق يتضح مدى التشابه والتكامل بين كلتا النظريتين، على مدى أهمية الجماعة في حياة الفرد، فهي تجسد الانتماء من كونه فكره مجردة إلى سلوك

1- Morse. Stan & Gergen, Kenneth J., "Social Comparison, Self Consistency, and Concept of Self", *Journal of Personality and Social Psychology*, Vol. 16, No.1, 1970, PP. 148 - 156.

يمارس في الواقع المعيش، ففي حين يرى "فروم" أن الانتماء Belongingness حاجة ضرورية إنسانية لا تتحقق إلا من خلال كيان اجتماعي، يكون مصدر فخر واعتزاز الفرد ويستمد منه قوته، ويشعر بأنه كيان أكبر وأقدر وأشمل، ويجد فيه معنى لوجوده وعالمه، ويحس فيه بالأمان، والاطمئنان ويكن له الولاء، مخلصا وراعيا لمصالحه منتميا إليه، وعلى الفرد أن يقيم علاقاته بالآخرين على الحب المثمر وأن يسمو على طبيعته الحيوانية، ويسمو بنفسه في علاقاته مع الآخرين مرتبطا ومتعاوناً مع غيره، وفي ذات الوقت محتفظاً لنفسه بتميزها وتفرداها، ولأن الشعور بالهوية ينشأ من خلال الانتماء، فإن "ليون فستجر" يؤكد أن الانتماء لا يحدث إلا من خلال الاتصال بالآخرين للمقارنة بينهم، وإنما حينما نتعامل مع الآخرين نقيم أفكارنا، وأراءنا، ومعتقداتنا، وقدراتنا الطبيعية والاجتماعية، وكم يفضل أن يكون هؤلاء الآخرين أفضل منا، وأن الاندماج والتوحد في الجماعة، لن يحدث إلا من خلال الوحدة في اتجاهات وسلوك أعضائها، ويسود التعاون والمسئولية بين الأعضاء، وهذا هو الطريق إلى تماسك أفراد الجماعة، وكلما ازداد أفراد الجماعة تماسكا، زادت قدرتها على فرض معاييرها، وقوانينها، وتقاليدها على الأفراد، وبالتالي كلما زاد انتماء الفرد للجماعة، زاد سلطان الجماعة عليه، وزاد تقبله لمعاييرها، باعتبار أن معايير الجماعة هي: مجموعة القواعد والسلوك والاتجاهات التي تدور حولها محاولات الجماعة للتوحيد بين أفرادها، أي أن المعيار الجماعي ينشأ إذا ما عرف أفراد الجماعة أن مدى معينا من السلوك أو الاتجاه يكون متوقعا منهم، وأن الانحراف عن هذا المدى تباركه الجماعة، وأنه سيعالج بطريقة معينة، والمعايير الاجتماعية هي التي تكون الإطارات المرجعية للعلاقات بين الأعضاء، ويصعب أن يفسر التشابه في سلوك الأفراد بين الجماعات على غير هذا الأساس، وجاذبية الجماعة وراء تحديدها لقوة معاييرها، وتأثيرها على أفرادها، وكلما ازدادت جاذبية الجماعة لأفرادها، زاد تماسكها، وزادت قوتها على أفرادها، وانصاعوا لمعاييرها^(١).

ومن العوامل التي تساعد الأفراد على الإذعان لمعايير الجماعة، درجة تماسك أفراد الجماعة، ودرجة الاتفاق على المعايير، ودرجة وضوح الواقع الذي تستند إليه المعايير،

١- لويس كامل مليكة، مرجع سابق، ص ٨١ - ١٠٤.

والثواب والعقاب المرتبطين بالإذعان للجماعة، وتقدير الفرد لقدرة الجماعة على الحكم السليم، والسمات الشخصية للفرد العضو، ومكانة الفرد في الجماعة. وتعتبر ظاهرة تماسك الجماعة عن قوة الروابط بين أعضائها، ومدى جاذبية الجماعة لأفرادها، وكما زادت قدرة الجماعة على فرض تقاليدها ومعاييرها وقواعدها السلوكية، دل ذلك على تماسك الجماعة، وكما زاد انتماء وولاء الفرد للجماعة، زاد سلطان الجماعة عليه، وزاد استعداده لتقبل معاييرها، وتشير دراسات فستنجر وزملائه إلى أنه بالقدر الذي تزيد وتقوى علاقات الصداقة بين الأعضاء - كمؤشر لقوة التماسك - كلما زادت قدرة الجماعة على فرض معاييرها على الأعضاء، وقلت احتمالات انحراف أفرادها عن هذه المعايير^(١). ولقد اتخذ التماسك لنفسه عدة معاني منها: (الروح المعنوية، الاتحاد، التنسيق بين جهود الأعضاء، الإنتاج، العمل بروح الفريق، التجاذب نحو الجماعة، مقاومة التخلي عن عضوية الجماعة)، كما أن تزايد جاذبية الجماعة، ومن ثم تماسكها يزداد عن طريق زيادة قدرتها على إشباع حاجات أعضائها كالحاجة إلى المكانة والتقدير، والأمن، وكذلك عن طريق وجود علاقات تعاونية، وتهيئة الفرص للتفاعل الحر، ويزداد التماسك نتيجة التشابه بين أعضاء الجماعة وتعرضها لأحداث خارجية، كتوجيه النقد أو الضغط عليها، وعلى العكس من ذلك، فإن نقص تماسك الجماعة، نتيجة لنقص جاذبيتها لأفرادها، وتناقص الحاجات التي كانت الجماعة مصدرا لإشباعها لدى أفرادها، تتناقص درجة صلاحية الجماعة لإشباع الحاجات القائمة، ويتوقف بقاء الفرد في عضوية الجماعة أو تخلصه منها، على محصلة الجاذبية، وفي ضوء هذه الجاذبية يتحدد مدى التماسك طبقا لوجهة تأثير الجماعة^(٢).

استخلاصا مما سبق تتضح العلاقة الجدلية بين الانتماء، والجماعة التي تجسده، فسي ضوء بعض النظريات في مجال علم النفس العام والاجتماعي، والتي وجهت الدراسة الراهنة:

١- أحمد صقر عاشور، مرجع سابق، ص ص ٢٥٩ - ٢٦٤.

٢- لويس كامل مليكة، مرجع سابق، ص ص ١٦٢ - ١٧٨.

- ضرورة وجود الجماعة ككيان بشري، يتجسد فيها الانتماء من كونه فكرة إلى الوجود المعاش سلوكا وممارسة بين الأفراد من خلال مواقف حياتية.

- ضرورة أن تكون هذه الجماعة مصدر فخر وإعتزاز لأعضائها، تحتويهم وتوفر لهم حاجاتهم الأساسية ليقبلوا عليها في حب، وإخلاص، وولاء، عاملين بجد على بنائها، وبقائها وتطورها.

- ضرورة أن يلتزم أفراد الجماعة بمعاييرها، وقوانينها، وتقاليدها، وإن كانت الجماعة تضطر أحيانا إلى فرضها بالقوة من خلال أساليب مختلفة من الضغط، لإيجاد نوع من الالتزام من الأفراد تجاه كيان جماعتهم، حرصا على سلامة وجودها، واستمرار بقائها، وتطورها.

- الاتصال بالآخرين ضرورة حتمية، والمقارنة الاجتماعية بين الآراء والأفكار والمعتقدات، بمن هم أفضل، سببا في تغير الاتجاهات سلبا أو إيجابا، وحدث نوع من التقارب، إن لم يكن التشابه إلى حد ما، حيث تتغير آراء، وتبنى أخرى جديدة، حرصا على بقاء الجماعة وتطورها.

- ضرورة أن تعمل الجماعة على نمو ذاتية الفرد، وتحقيق ذاته وتميزها عن غيرها، حيث لا انتماء بدون جماعة ينتمى إليها، ولا هوية بدون انتماء لجماعة، فالهوية تنشأ من الانتماء الذي يؤكد وجودها، ويسمح بتميز وفردية العضو فيها.

- تماسك أفراد الجماعة يشير إلى وجود قيم الانتماء من (الحب - المسؤولية - التعاون - العدل - الديمقراطية - الحرية - الولاء - العمل المثمر) وحين يتأكد الانتماء يزداد الامتثال لمعايير الجماعة وقوانينها بهدف حفظ كيانها وبقاء استمرارها.

(٢) الانتماء في الفلسفة وعلم الاجتماع المعاصر:

تناولت النظريات الفلسفية عموما الانتماء صراحة وضمنا، والدراسة الراهنة تهتم بالانتماء في بعض النظريات في الفلسفة وعلم الاجتماع المعاصر (الماركسية، الوظيفية البنائية، الاتجاه النقدي) حتى يسهم ذلك في استخلاص رؤى محددة تتفق وبنية المجتمع المصري، وتوجه سير الدراسة الراهنة.

أ- الماركسية والانتماء:

تناولت الماركسية الانتماء من خلال "الحرية، وقصرته على الإنسان الاجتماعي، الذي يتحد مع الجماعة ويتلاحم مع ظروف معيشتها، وليس ذلك الذي ينعزل عنها وينسلخ منها، ولذا فإن الماركسية تحدد بداية الإطار الذي من خلاله يبدأ الفرد في السعي لإشباع حاجاته، ثم نحو تحرير ذاته نهائياً من الخضوع لضرورات الطبيعة والمجتمع، وتحقق الحرية في المرحلة التي يتحقق فيها إشباع الفرد لحاجاته إشباعاً كاملاً، ولكل أفراد المجتمع، أي أنها تضع تفسيرها للحرية من خلال الواقع المعيش الذي يضمه والتاريخ الذي يشهد تطوره"^(١).

وعالجت المادية التاريخية الانتماء، " بوصفه انتماء طبقياً، وقدمت رؤية كاملة للصراع الطبقي كما قدمت فهماً للوعي الاجتماعي، واعتبرت تزييفه هو تزييف للانتماء أيضاً، ويعتبر الانتماء الحقيقي في المادية التاريخية، هو الانتماء لطبقة الأغلبية في المجتمع. فالوعي الاجتماعي في الرأسمالية هو وعي الطبقة البرجوازية بالدرجة الأولى، نظراً لامتلاكها لوسائل الإنتاج الفكري والمادي حيث تفرض أفكارها، وأمزجتها على المجتمع"^(٢).

وتعتبر الماركسية الوعي، هو في الأساس نتاجاً اجتماعياً، فالأساس الذي ينشأ الوعي فوقه، ويتطور عليه، هو الممارسة المادية للبشر، والبنية الاقتصادية هي التي تحدد وعي البشر في السياق النهائي، دون أن تستنفذ محتوى الوجود الاجتماعي نفسه، كما أن الوجود لا يقتصر على علاقات الإنتاج فحسب، بل أيضاً يتضمن علاقات البشر مع الطبيعة فإنها تنعكس بدورها في الوعي، فالوعي الاجتماعي مشروط بالوجود الاجتماعي للتشكيله المعطاه وللعصر المعطى، وهو إلى جانب ارتباطه بموضوع الانعكاس، يرتبط بحامل الوعي المشخص والعلاقات الاقتصادية نفسها، وموضوع الانعكاس نفسه، لينتقها وعي الطبقات المختلفة بصورة مختلفة، كل طبقة تقيم الواقع بطريقتها الخاصة. وعند تحليل

١- كمال الدين صلاح محمد رحيم، السلطة في الفكر الإسلامي والماركسي؛ القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٨٧، ص ٢٤٦.

٢- أ. ك. أوليدوف، الوعي الاجتماعي؛ ترجمة ميشيل كيلو، بيروت، دار ابن خلدون، ١٩٨٢، ص ١٩٣.

الظواهر الفكرية، يجب مراعاة أن الوعي انعكاس للوجود، وأنه يتحدد به أيضا، أي الانتباه إلى الترابط المتبادل بين الوجود الاجتماعي، والوعي الاجتماعي، الذي هو علاقة سببية يعود فيها الدور المعين إلى الوجود الاجتماعي، والانعكاس هو جانب من هذه العلاقة وشكلها الخاص ونتيجتها، ويلعب الانعكاس والوعي دورا نشطا وخلاقا في علاقته بالوجود الاجتماعي ويؤثر - إلى جانب عوامل أخرى - على مختلف العلاقات الاجتماعية بما في ذلك العلاقات الاقتصادية^(١).

ويرتبط مفهوم الأساس الاقتصادي بالبناء الفوقي الذي يتضمن الأفكار، والتنظيمات والنظم، ويتضمن أفكار البناء الفوقي وجهات النظر السياسية والتشريعية، والأخلاقية، والجمالية، والدينية، والفلسفية، وهذه الأفكار تحدد صور الوعي الاجتماعي وأشكاله، التي تعكس مباشرة العلاقات الاقتصادية. وتطعم علاقات البناء الفوقي الأيديولوجيا على خلاف علاقات الإنتاج التي تتشكل وتكون بعيدة ومستقلة عن الوعي الاجتماعي، فتجد العلاقات الأيديولوجية لا تتشكل ولا تتكون إلا من خلال الوعي الاجتماعي، وبالرغم من أن ظاهرات البناء الفوقي تتحدد بالأساس الاقتصادي، فإن لها تطوراً واستقلالاً نسبياً، فلكل تكوين اجتماعي اقتصادي أساس محدد، وبناء فوقي يطابق هذا الأساس، ومع أن البناء الفوقي لأي تكوين يستمد وجوده من الأساس الاقتصادي ويأتي معبرا عنه، إلا أنه يلعب دورا إيجابيا، وفعالا في المسار التاريخي للبناء الاجتماعي، ويؤثر في كل جوانبه وأبعاده بما في ذلك الأساس الاقتصادي الذي يعزى إليه وجود البناء الفوقي^(٢).

استخلاصا مما سبق يتضح أن الوجود يحدد الوعي، فالإنسان كائن واع يخلق عالما موضوعيا من خلال نشاطه العملي، وعلاقته بذاته تصبح حقيقة موضوعية من خلال علاقته بالآخرين، وأن حياة الفرد هي تأكيد للحياة الاجتماعية، وإن كان الإنسان كائنا طبيعيا أنانيا لذاته، فإنه كائن نوعي يسعى ليؤكد ذاته من حيث وجوده ووعيه، وفي المجتمع الرأسمالي تسيطر طبقة البرجوازية على طبقة البروليتاريا، وطورت كل طبقة

١- المرجع السابق، ص ١٤-٢٠.

٢- عبد الباسط عبد المعطي، في نظرية علم الاجتماع؛ الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٨٧، ص ٨٠.

معاييرها التي تتفق ومصالحها، لذلك فالعلاقة الطبقيّة هي علاقة استغلالية، تسعى فيها الطبقة المسيطرة لاستغلال بقية المجتمع، من خلال ملكيتها لأدوات الإنتاج، مما يسبب اغتراب البروليتاريا، وتدفعها للقيام بالثورة لتأسيس ملكية الدولة لوسائل الإنتاج، وإقامة مجتمع لا طبقي، لأن الماركسية لا تقنع بوجود تفاوت طبقي، وإنما تسعى لتحقيق المساواة الطبقيّة، وترى أن السلطة تجسّد للدكتاتورية الطبقيّة، وتمكن الطبقة المالكّة من إحكام سيطرتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، واستغلال بقية الطبقات الأخرى، وأن الفرد الحر هو الذي في تلاحم مع الجماعة، ويسعى لإشباع حاجاته، من خلال تحرير ذاته نهائياً من الخضوع للطبقة المسيطرة المستغلة، فإنه بذلك يكون المنتمى الحقيقي - وفقاً للمنظور الماركسي- هو ذلك: المنتمى لطبقة الأغلبية البروليتاريا، ويرفض استغلاله من قبل طبقة البرجوازية، وعليه أن يسعى لتخليص مجتمعه، مما هو كائن إلى ما يجب أن يكون، وأن يكون على وعي بقضايا ومشكلات مجتمعه، وأن يعتقد تماماً في أن حريته في اتحاده مع الجماعة، وليس بالانسلاخ عنها، حتى يتمكنوا من محاصرة الطبقة المسيطرة التي تسلبهم حقوقهم، بل والثورة عليها ليتمكنوا من نيل حقوقهم، وإشباع حاجاتهم، وتحقيق المجتمع اللاتبقي^(١).

- جماعة من العلماء السوفيت، الفلسفة الماركسية في القرن التاسع عشر؛ ترجمة حامد حيدر، القاهرة، مكتبة الفارابي، ١٩٩٠، ص ص ٦٥ - ٦٨، ص ص ١٤٣ - ١٤٦، ص ص ١٥٢ - ١٥٨.
- ولمزيد من التفصيل حول المنتمى الحقيقي من وجهة نظر الماركسية راجع:
- هيربرت ماركوز، العقل والثورة - هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية؛ ترجمة فؤاد زكريا، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩، ص ص ٢٨٨ - ٢٩٥.
- محمد الجوهري وآخران، التغيير الاجتماعي؛ القاهرة، دار المعارف، ١٩٨٢، ص ص ٢٦ - ٢٨.
- علي ليله، النظرية الاجتماعية المعاصرة؛ ط١، القاهرة، دار المعارف، ١٩٨١، ص ٣٥٠.
- عبد الباسط عبد المعطي، الوعي التنموي العربي؛ ممارسة بحثية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٣، ص ١٧.
- عثمان حسين عثمان هندي، البناء الطبقي والحراك السياسي في المجتمع المصري من ٥٢ - ١٩٨٧؛ دكتوراه، كلية الآداب، جامعة المنيا، ١٩٩١، ص ٢٧.
- عبد الله محمد حسين شلي، العالم الثالث، والاختيار الأيديولوجي، مصر نموذجاً: دراسة بنائية تاريخية ٥٢ - ١٩٧٠؛ ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس، ١٩٨٥، ص ص ١٠ - ٢٢.

ب- الوظيفية البنائية والانتماء:

إن الخاصية الأساسية المميزة للوظيفية أنها "تركز اهتمامها على دراسة المجتمع كوحده كلية، وفي ضوء التصور النسقي للمجتمع تحدد الروابط بداخله، سواء في حالتها المستقرة، أو في حالتها الدينامية، ذلك أن المجتمع يتألف من مجموعة من الأجزاء المترابطة التي يتحقق فيها التكامل، الذي يؤدي إلى حالة توازن، ويسهم كل جزء من أجزاء المجتمع في بقاء الأجزاء الأخرى والمحافظة على وجودها، وتحقيق التوازن بين هذه الأجزاء، نظرا لأن كل تغير يحدث لواحد منها يؤدي إلى تغير في الأجزاء الأخرى، لذا لا يبدو أن التوازن في المجتمع متمم بالطابع الاستقراري، ولكنه توازن متحرك، فالتغير في جزء يدعو لتغيرات تعويضية في الأجزاء الأخرى، ولهذا يتسم التغير في المجتمع بالطابع المنظم"^(١).

ويعد الفعل الاجتماعي هو "جوهر الوظيفية، وهو في الوقت ذاته نموذج مصغر للظاهرة الاجتماعية، ويتضمن عوامل بيولوجية ونفسية واجتماعية وبيئية، وتعبير عنه وحدة السلوك، وما الانتماء إلا حاجة يحركها دافع لإشباعها تتخذ في النهاية شكل سلوك ذا أبعاد نفسية واجتماعية وبيئية، ويتأثر بالظروف المحيطة، اقتصاديا، واجتماعيا، وسياسيا وثقافيا، فالانتماء يتضح لدى الوظيفية البنائية من خلال الفعل الاجتماعي"^(٢).

والفعل الاجتماعي لا يتم إلا إذا توافر كل من (الموقف، والمعايير التي توجه سلوك الفاعل، والرموز التي من خلالها يتم التواصل داخل الموقف) وتعتبر وحدة السلوك هي "الصورة المصغرة للفعل، لذلك فإن تداخل عناصر السلوك المختلفة وتشابكها في مواقف الحياة المختلفة، يؤدي إلى بناء كلى أساسه نمق الفعل الاجتماعي، وتسهم القيم والمعايير في خلق درجة من الانتظام، والترابط بين وحدات السلوك المختلفة، بحيث يمكن القول بأن

١- محمد عارف، المجتمع بنظرة وظيفية، التحليل الوظيفي للمجتمع: أسسه التصورية والمنهجية؛ الكتاب الثاني،

ط١، القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٨٢، ص ٨.

٢- محمد عارف، المجتمع بنظرة وظيفية، ملاحظاتها العامة وأبعادها التاريخية وصورها الماصرة؛ الكتاب

الأول، القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٨١، ص ٢٢٩.

وحدات السلوك المختلفة المشكلة لمختلف الأفعال الاجتماعية تسبح جميعا في بحر من القيم والمعايير، الأمر الذي يحقق بينها الترابط والانسجام ولا يدخلها في صدام مدمر^(١).

ولقد صور "دوركايم" Durkheim المجتمع على أنه وحدة له وجود وحقيقة مستقلة عن وجود وحقيقة الفرد، وأن المجتمع بهذه الصفة يستطيع أن يمارس الضغط على أعضائه من الأفراد، وأن يضبط سلوكهم، بحيث يجعله يأتي على نحو معين، يضمن بقاء المجتمع واستمراره، ويعنى هذا التصور للمجتمع التسليم بوجود عقل جماعي لدى المجتمع، فكأن المجتمع له وجوده المستقل عن وجود الأفراد، وله أيضا طريقته الخاصة في التفكير والإحساس والسلوك، كما تتمثل هذه الطريقة الخاصة في التصورات الجماعية التي لها طبيعتها الخاصة بها، لأنها ناشئة عن تفاعل تفكير الأفراد ومشاعرهم ورغباتهم، ولكن هذا التفاعل يخلق مستوى من الوجود له طابع مميز عن وجود العناصر المفردة، عندما توجد منعزلة عن بعضها البعض، وهكذا تعبر التصورات الجماعية عن الحياة العقلية للمجتمع بوصفه وحدة ذات طبيعة خاصة مميزة عن طبيعة الأفراد، ولما كان المجتمع لديه القدرة على ممارسة ضغط خارجي على سلوك أفراد، فيمكنه أن يحقق بصفة مستمرة الشروط اللازمة لاستمرار بقائه، وذلك بان يفرض هذه الشروط على أعضائه من الأفراد، ويتحقق ذلك بواسطة ضبط سلوك هؤلاء الأفراد ببعض الوسائل والعمليات الاجتماعية، ومنها: التنشئة الاجتماعية، والضبط الاجتماعي^(٢).

إن الأيديولوجيات التي اهتمت بها الوظيفة جاءت تؤكد على جوانب أخرى في البناء الاجتماعي، و"تلح في التأكيد والتشديد على الاستقرار، وتحاول إلغاء كل إرادة واعية للإنسان بدعوى مبالغ فيها لسمو المجتمع وتفوقه على كل أعضائه، فنجد "بارسونز" Prsons يرى أن أي خروج على القيم يعد انحرافا يستوجب مزيدا من الضبط ومزيدا من الجزاء، وعلى ذلك فإنه بالرغم من وجود رغبة علمية في بناء الوظيفة ومحاولاتها ومحاوراتها مع بعض الاتجاهات النظرية في علم الاجتماع وخاصة الماركسية، فإنها

١- أحمد رايد، علم الاجتماع بين الاتجاهات الكلاسيكية والنقدية؛ ط٢، مرجع سابق، ص ١١١ - ١١٢.

٢- محمد عارف، المجتمع بنظرة وظيفية، الكتاب الأول، مرجع سابق، ص ١٠٦ - ١٠٧.

جاءت في بعض مواقفها تبريرية جندت نفسها للدفاع عن النظام الاجتماعي القائم، والمصالح التي يدافع عنها^(١).

وهكذا تحدد معنى الانتماء في مضمون الوظيفة البنائية على النحو التالي: طالما أن الوظيفة البنائية تعتبر المجتمع ذا وجود حقيقي مستقل عن وجود حقيقة الفرد، وأنه يستطيع أن يمارس ضغوطه على الأفراد ليضبط سلوكهم بما يضمن بقاءه واستمراره، وبما أن الوظيفة البنائية تعترف بوجود الطبقة - استنادا إلى تفاوت القدرات والملكات لدى الأفراد - وتبرر استغلال الرأسمالي للعامل، يزعم أن حاجاته محدودة، وإنه لا يمكن أن تحل طبقة محل أخرى، إلا إذا كانت متماثلة في الاستعدادات الطبقة، وترفض صور الصراع الاجتماعي، وتؤكد على التوازن، وبما أنها تعتبر أن الأشباع حاجة اجتماعية، يتجاوز فيها الفرد أنانيته وذاته الفردية، وعليه فإن أفعال الفرد هي بمثابة التزام خلقى تجاه المجتمع، يفرضها المجتمع عليه فرضا، ولذا في المقابل ترى القهر سلطة أخلاقية من قبل المجتمع، وفي تركيز الوظيفة البنائية على الفعل الاجتماعي بوصفه يتضمن عوامل بيولوجية ونفسية واجتماعية وتعبّر عنه وحدة السلوك، التي هي الصورة المصغرة للفعل الاجتماعي، لذا فإن تداخل عناصر السلوك وتشابكها في مواقف الحياة تكون بناء كليا، وتسهم القيم والمعايير في خلق درجة من الانتظام والترابط بين وحدات السلوك، حيث وراء كل سلوك اهتمام الفاعل، وهذا الاهتمام يمثل قوة دافعة لهذا السلوك، وتتأثر الاهتمامات بنمو وتطور شخصية الفاعل، وأن المتغيرات الثقافية القيمة هي متغيرات ذات دور فعال في إنجاز الفعل الاجتماعي، وإن كانت ذات طبيعة بيولوجية اجتماعية^(٢).

١- عبد الباسط عبد المعطي، في نظرية علم الاجتماع؛ مرجع سابق، ص ٢٠٧ - ٢٠٨.

٢- على نيلة، مرجع سابق، ص ٣٤٥ - ٣٥٣. ولمزيد من التفصيل حول المسمى الخفي في الوظيفة البنائية، راجع:

- أحمد زايد، البناء السياسي في الريف المصري في تحليل لجماعة الصفوة القديمة؛ ط ١، القاهرة، دار

المعارف، ١٩٨١، ص ٨١ - ٨٤.

- أحمد زايد، علم الاجتماع بين الانبعاثات النقدية وكلاسيكية. مرجع سابق، ص ١٢١ - ١٢٧.

وفي ضوء ما سبق فإن المنتمى الحقيقي من وجهة نظر الوظيفية البنائية هو: ذاك الفرد الذي يكون على درجة عالية من التكيف والانسجام مع قيم المجتمع، وأن يستجيب لنمط الثقافة والقيم والمعايير السائدة، وأن يتخلى عن فريته وأنانيته في إشباع حاجاته، ويسعى لإشباع حاجات المجتمع أولاً، وعليه أن يقدم تنازلات ويستجيب للضغوط التي يفرضها عليه المجتمع، باعتبارها التزاماً خلقياً للصالح العام وللحفاظ على توازن المجتمع واستقراره، وأن يكون قادراً على ضبط سلوكه، وبالأحرى: عليه أن يتكيف مع الوضع القائم، ويعمل على تدعيمه، وإشباع حاجات النظام القائم، قبل حاجاته الذاتية، سواء كان فرد أم جماعة أم طبقة، وذلك على اعتبار أن الفعل الفردي هو النواة الأساسية التي تلتقى مع فعل آخر لتشكّل التفاعل والنسق الاجتماعي.

ج- الاتجاه النقدي والانتماء:

ظهرت الاتجاهات النقدية نتيجة للتناقضات التي دعمتها البنائية في المجتمعات الغربية في الثلاثة عقود الأخيرة، وتعارض الاتجاهات النقدية بشدة النظرية السوسولوجية الكلاسيكية، وما ارتبط بها من بحوث إمبريقية، واتسم هذا الاتجاه بحركة نقدية ذات طابع اجتماعي، ويعد "تشارلز رايت ميلز" Charles R. Mills رائد هذا الاتجاه، ويعتبر هذا الاتجاه امتداداً للفكر الأدبي في إطار النظرية السوسولوجية، حيث الاهتمام بالقضايا التاريخية، والاجتماعية الشاملة التي تنتاب البناء الاجتماعي، وخاصة البناء الطبقي في أمريكا منذ القرن التاسع عشر^(١).

وظهر رافد نقدي آخر يمثل استمراراً للماركسية، مطوراً لمقولاتها النظرية أو مؤكداً على عدم ملائمتها للواقع الصناعي الأمريكي الخاص ومن أهم رواد هذا الاتجاه "هربرت ماركيوز" Herbert Marcious الذي يرى أن البروليتاريا لم تعد أداة للتحوّل التاريخي، لأن العمال اتحدوا مع البرجوازيين، واتفقوا على المحافظة على المؤسسات القائمة، وأصبحت البروليتاريا - على حد تعبير هيجل في (وعي سعيد) - وهو نوع من الخداع النفسي بمصالحهم الحقيقية، ويرى "ماركيوز" أن الإطاحة بالنظام الرأسمالي

١- المرجع السابق، ص ٢٤٣. وللمزيد من التفصيل حول "تشارلز رايت ميلز"، راجع: المرجع نفسه، ص ص

الحديث معلق بالقوى التي لم تتمكن الرأسمالية من مجها بعد، وهى جماعة المنبوذين اللامنتمين للمجتمع الرأسمالى، والمطالين عن العمل، والطبقات والجماعات العنصرية المستغلة^(١).

ويرى "ميلز" أن التطورات الاقتصادية فى القرن العشرين يجب أن تفسر فى ضوء التغيرات فى القوى السياسية، والعسكرية، ولا يحذ ميلز استبدال الحتمية الاقتصادية بأخرى سياسية عسكرية، ولكنه يؤكد على ترابط هذه الأنماط جميعا، ولم يقف من الماركسية موقف الرفض، وإنما يقدم منهاجاً جديداً للماركسية برؤية عصرية، ويقوم نقده على فكرة جوهرية مؤداها: أن المجتمع الرأسمالى المعاصر يختلف جذريا عن المجتمع الرأسمالى الذى كتب عنه ماركس، وأن هذا المجتمع طرأ عليه بعض التغيرات النظامية أدت فى النهاية إلى التالى:

- عدم إمكانية تحقيق الأفكار للرأسمالية، وخاصة الصراع الطبقي تمهيدا لظهور الشيوعية.

- إن أشكال الاقتصاد امتدت وتشعبت جنورها، وأصبحت ترتبط بالبناء النظامي للمجتمع ككل، وأنتج السلوك الرأسمالى شرائح أخرى غير طبقة الملاك، وأصبحت تمارس أشكالاً جديدة من الاستغلال النفسى، وسلب حرية الفكر والإرادة.

- الفئات المستغلة خمس فئات جديدة أهمها وأكبرها من الطبقة الوسطى، ولا يمكن أن تنضم إلى طبقة العمال.

- صاغ "ماركس" نظريته فى مكان بعينه، وفى فترة تاريخية بعينها، وإذا فإنه عاش ظروف المجتمع الذى كتب عنه، وظروف الفترة التاريخية التى تناولها بالتحليل.

- يرى "ميلز" أن طبقة العمال أصبحت غير قادرة على الثورة فى المجتمع الرأسمالى لما حققته من مكاسب، كما يرى أن الانتماء الحقيقى يتم عندما يتحقق لدى الأفراد وعى حقيقى بقضايا مجتمعاتهم الكبرى، متجاوزين بذلك حدود مشكلاتهم الشخصية، لأن الاهتمام بالقضايا العامة يخلق وعياً حقيقياً بحقائق الواقع الاجتماعى الذى يعيش فيه، كما يخلق لديه الاحساس بالمسئولية الأخلاقية والالتزام السياسى، ويتحقق الانتماء حينما يصبح

١- على ليلة، مرجع سابق، ص ٦٤٨ - ٦٦٠.

المجتمع خاليا من السيطرة والاستغلال الاقتصادي، وتصبح ملكية وسائل الإنتاج جماعية لا فردية، ويصبح إتخاذ القرار جماعيا، ويحرص النظام على إشباع الحاجات الأساسية لأفراد المجتمع، ويتيح لهم فرصة الاستمتاع بوقت الفراغ، الذي يعيد للفرد إنسانيته، ويحقق له ذاته التي اغتربت عنه في المجتمع التكنولوجي^(١).

وعلى ذلك فإن المنتمى الحقيقي من وجهة نظر الاتجاه النقدي هو: ذاك الذي على وعي تام وإدراك بالأوضاع السائدة في مجتمعه من قضايا ومشكلات، ويتجاوز بوعيه مشكلاته الخاصة إلى المشكلات المجتمعية، ويرفض استغلال الطبقة المسيطرة، ويحاول تحقيق الأهداف المجتمعية لصالح الأغلبية ويشارك في إقامة مجتمع أكثر عدلا وملكيتته جماعية، ويشبع حاجات الأفراد الأساسية الحقيقية، وينتفي في إطاره القهر السياسي بأساليبه الخفية والمعلنة. وفي هذا اتفاق مع ما ذهب إليه "ماركيوز" الذي عزلها عن دورها التاريخي، ولذا اهتم "ميلز" بدور المتقنين كأداة فعالة في التغيير الاجتماعي، في حين أسند "ماركيوز" هذا الدور لكل من يحس الظلم والاستغلال تحت وطأة هذا النظام، ومن ثم فيمكن أن تقوم الثورة على يد الطلبة أو الزنوج من سكان الأكواخ، أو غيرهم من القوى التي تختلف في أصولها الطبقيّة وطبيعة تكوينها، ولكنها تشترك في عنصر واحد، وهو عداؤها لحكومات المجتمعات الصناعية المتقدمة، ويركز ماركيوز خاصة على الحركات الطلابية لما لها من ثقافة خاصة تختلف عن ثقافة السوق الشائعة وتتناقض معها، وهنا تكمن قوتها في قدرتها على التغيير. كما كشف ميلز عن طبيعة التناقضات داخل المجتمع الرأسمالي، وإن الإنسان بداخله صار لا يكثرث بما يدور حوله، ولا يشارك فيه، ويعيش في حالة اغتراب داخل عمله، وتقوم وسائل الإعلام بحشد ما يريده صناع السياسة في ذهنه، وإن نسق القوة السائدة في المجتمع الرأسمالي يعتمد على أساليب غير معلنة للقهر السياسي، ويتحكم في الأفراد بطريقة خفية، ويحركهم حسب أهوائه من خلال الإعلام ونظم الإنتاج^(٢).

١- شومليه جاندر، كورفوازيه، مدخل إلى علم الاجتماع السياسي؛ ترجمة إسماعيل غزال، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ١٩٨٨، ص ٤٤ - ٤٩.

٢- أحمد زايد، علم الاجتماع بين الاتجاهات النقدية والكلاسيكية، ط٢، مرجع سابق، ص ٢٢٣، ص ٢٦١، ص ٢٨٣.

استخلاصا مما سبق يتضح اتفاق علماء الإتجاه النقدي على استغلال الطبقة البرجوازية الأقلية للأغلبية، وأن التغيير ضرورة حتمية ضد الظلم الذي تفرضه الطبقة البرجوازية، متفقين بذلك مع النظرية الماركسية، وإن كان الاختلاف معها في أن طبقة البروليتاريا - من وجهة نظر الإتجاه النقدي - لم تعد تصلح لمهمتها التاريخية كأداة للتغيير الثوري، حيث تنبعت البرجوازية إلى ذلك فنجحت في تزييف وعي البروليتاريا وخداعها، وأوهمتها بضرورة الحفاظ على الأوضاع القائمة، ومن ثم أصبحت البروليتاريا ليست بحاجة إلى الثورة والتغيير خاصة وأنهم في البلاد الرأسمالية المتقدمة حصلوا على حقوقهم السياسية والاقتصادية، وتحسنت أوضاعهم نتيجة للدور السياسي والاقتصادي لل نقابات العمالية، بل وأخذ قادة البروليتاريا يسعون إلى أن يكونوا أعضاء في صفوف القوة الحاكمة، ولذا أسند "ماركيوز" مهمة الثورة والتغيير إلى جماعة المنبوين اللامنتمين، والعاطلين، والجماعات المستغلة التي تحس الظلم وخاصة الطلبة، لأن ثقافتهم ثقافة مختلفة عن ثقافة السوق، اتفاقا مع "ميلز"، الذي أشار إلى دور المثقفين كأداة فعالة للتغيير، كما يتضح تغير صور الاستغلال، فتجاوز الشكل الاقتصادي، إلى أساليب أخرى أكثر فعالية، حيث سلبت الفكر والإرادة، وتحولت المشكلات الاقتصادية إلى مشكلات ذات طابع سياسي وعسكري، وظهرت شرائح طبقية جديدة، وفقدت الطبقة الوسطى جذورها وانتماءها، بعد أن فرضت عليها أيديولوجية الطبقة المستغلة، التي تركز على الفردية والإحتكار، كما فرضت عليها التعمية والتجهيل بفعل وسائل الإعلام، التي تبث ما ترغبه السلطة السياسية وأيضا تعددت أساليب القهر السياسي، وأخذت أشكالاً غير معلنة، يتم من خلالها التحكم في الأفراد وقهرهم، وبذلك تنجح في خلق الإنسان ذا البعد الواحد، الفاقدة القدرة على الإرادة والرفض، والذي في حالة تكيف مع النظام القائم والأوضاع السائدة، بل ربما هم أنفسهم يسعون للحفاظ على بقاء هذه الطبقة المسيطرة، ولذا أصبح الإنسان في هذه المجتمعات غالبا ما يشعر بالاعتراب عن كل ما حوله، وأصبحت اللامبالاة أهم سماته، ليس عن أشياء كامنة في ذاته، وإنما كامنة في المجتمع، وخاصة الأساليب التي تتبعها الطبقات المسيطرة في ممارستها السياسية، كما أن الترشيح الموجه صورة من صور احتكار الإرادة ويزيد من الاعتراب، وتظهر اللامبالاة تجاه القضايا

العامة والسياسية، خاصة نتيجة عجز الفرد عن المشاركة في الحياة السياسية، ويعمل الإعلام على الترويج لرأى القواد، فيضطر المواطن إلى ترك مجال السياسة للساسنة والمحترفين، نظرا لتعقد الحياة السياسية وتشابك نسيجها، ويكتفى بان يرشح من ينوب عنه للوصول للحكم، تاركا لهم حرية التصرف^(١).

ثالثا: استخلاصات حول مفهوم الانتماء وبنية المجتمع

المصرى:

من خلال العرض السابق لمفهوم الانتماء، وجماعة الانتماء، والمنتمي الحقيقي، تمكنت الباحثة من استخلاص الرؤية التالية، وخاصة وأنه قد سبق التأكيد على أهمية البعد الاجتماعي للانتماء، الذى ينقله من كونه فكرة مجردة إلى حيز التفاعل النشط، وصولا لتحقيق الأهداف المرجوة من تماسك المجتمع وتقدمه، واتضح أن كلا من النظريات الثلاث لا تتفق وخصوصية المجتمع المصرى وما حدث فيه من تطورات اقتصادية واجتماعية وثقافية، حتى تتبنى الدراسة الراهنة أيا منها، ويرجع جوهر هذه الخصوصية إلى أن مجتمعنا المصرى مجتمع سريع التغيير، انتقالى، من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية، متأثر بالتغيرات العالمية، ونظرا لحساسية موقعه ومكانته التى تجعل منه مطمعا، وتجرفه تيارات استغلالية - بدرجة أو بأخرى - فهى ذات تأثير فعال على البنية الاجتماعية، والأيدولوجية السائدة.

ولما كان المجتمع المصرى لم يعرف الإقطاع بشكله الكلاسيكى، ولم يعرف الرأسمالية الكاملة، وعرف إلى جانب ذلك شكلا من أشكال التخطيط الاشتراكى، أو رأسمالية الدولة، بحيث أدى إلى وجود أشكال مختلفة للإنتاج، بعضها رواسب من أشكاله القديمة، وبعضها

١- المرجع السابق، ص ٢٤٣ - ٢٨٤. وللمزيد من التفصيل حول المنتمى الحقيقى من وجهة نظر الاتجاه النقدى، راجع:

- آمال السواح، النظرية السوسولوجية عند تشارلز رايت ميلز؛ دبلوم معهد العلوم الاجتماعية، جامعة الإسكندرية، ١٩٧٥، ص ٧٦، ص ٧٧، ص ٨١، ص ١٩٩.
- هربرت ماركيز، الإنسان ذو البعد الواحد؛ ط٣، ترجمة جورج طرايشى، بيروت، منشورات الآداب، ١٩٧٣، ص ١٢-١٣، ص ٢٢، ص ٣٨، ص ٤٦، ص ٨٦، ص ٢٦٦-٢٦٧.

حديث مهيم، وتتداخل هذه الأشكال المتعددة، وتوجد بجانب بعضها البعض، مما يسترتب على وجودها بهذا الشكل بناء طبقي متنوع، فتتوعد الطبقات في المجتمع المصري بتنوع أشكال الإنتاج السائدة، ولهذا فإنه يرفض الماركسية التي تقول بوجود طبقتين لا ثالث لهما^(١).

ويرى "فرانك" Frank أن البرجوازية التابعة ليست برجوازية حقيقية " من حيث إن وجودها لا يؤدي إلى ثورة برجوازية على المستوى الاقتصادي، وثورة ديمقراطية على المستوى السياسي، مما يوحي بأن الفئة الحاكمة من هذه الطبقة، ليست طبقة حاكمة، وإنما هي صفة، ويتضح ذلك بجلاء من أسلوب ممارستها السياسية، فهي تستخدم تكتيكات متنوعة حسبما تملية ظروف التبعية، وتتراوح هذه التكتيكات بين الأساليب القانونية والبرلمانية، وبين الانقلابات العسكرية وبين الدعوة إلى للحركة القومية، أو إحداث تحالف زائف مع العمال^(٢).

إن أى ضرب من ضروب التفكير، ما هو إلا انعكاس بنائي معين، ويشير إلى ما يسود الواقع من تيارات أيديولوجية، وقد أشار "رايت ميلز" إلى ذلك مؤكدا أن النظم الأساسية في المجتمع ذات دور هام في خلق القلق، اللامبالاة، الإغتراب على المستوى الفردي^(٣)، أو خلق الإنسان السوي، المتعاون، المسئول، المندمج في الجماعة، أى المنتمى. ومن ثم فإن الرؤية المستخلصة من النظريات الثلاث والتي ترى الباحثة أنها تتفق وخصوصية المجتمع المصري هي كالتالي:

♦ يتأثر الانتماء للوطن بطبيعة الظروف البنائية لهذا الوطن في مرحلة تاريخية بعينها.
♦ بعد حقبة السبعينيات، وانتهاج سياسة الانفتاح، قويت الرأسمالية، واستفحلت البرجوازية، وظهرت شرائح أخرى استطاعت من خلال ملكيتها لوسائل الإنتاج، السيطرة وفرض أيديولوجيتها من خلال وسائل الإعلام، ومحاولة تزييف وعي بقية

١- أحمد زايد، البناء السياسي في الريف المصري، مرجع سابق، ص ٢٢٥ - ٢٢٦.

٢- المرجع السابق، ص ١٨٢.

٣- أحمد زايد، علم الاجتماع بين النظرية الكلاسيكية والنقدية، ط ٢، مرجع سابق، ص ٢٠٣، ص ٢٥٦.

فئات الشعب، وبالتالي تزييف انتماءاتهم ليصبحوا في حالة رضا عما هو كائن، وتكيف مع الأوضاع السائدة، مما قد يؤدي إلى اغترابهم عن أنفسهم وبالتالي عن مجتمعهم.

♦ بقدر الوعي بمشكلات الوطن وبقضاياها، يكون الانتماء للوطن.

♦ التفاوت الشديد بين الفئات المبنى على غير القدرات، وإنما بفعل الاستغلال والسيطرة، له مخاطره في تفتيت بنية المجتمع وتدهوره، خاصة وأنه على أثر الانفتاح ظهرت بعض الفئات والشرائح الاجتماعية التي ما كان لها أن تظهر، وحدث بداخل هذه الشرائح حراك فيما بينها، بعضها تحرك لأعلى، والآخر تحرك لأدنى، وقد حدث تداخل بينهما، وإن كان من الصعب وصفها بأنها طبقة، إلا أنها استطاعت نتيجة لتزييف الوعي استقطاب الفئات الأخرى وإيهامها بارتباط المصالح المشتركة بينهم، مما يصعب الموقف ضد البرجوازية، وتلك الشرائح والفئات الجديدة، وليدة الانفتاح والتي تحمى نفسها تارة بالقوانين وأخرى بالوعي الزائف، حتى أصبحت المصالح بينهما متداخلة.

♦ نظرا لأن الاستغلال كامن في النظام الرأسمالي، فكلما تقدم المجتمع وأصبح التدرج الاجتماعي أكثر تشعبا، تعددت الفئات والشرائح الاجتماعية، وظهرت أشكال جديدة من الاستغلال النفسى، وسلب حرية الفكر والإرادة، بدلا من الاستغلال الاقتصادي، ومن هذه الأشكال (البيروقراطية - التكنوقراطية - البرجوازية الصغيرة).

♦ لم يعد الأساس الاقتصادي، هو الذى يحدد البناء الاجتماعى، وأصبحت التغيرات الاقتصادية تفسر في ضوء القوى السياسية والعسكرية، وتحولت المشكلات الاقتصادية إلى مشكلات ذات طابع سياسى، وربما طابع عسكرى ونفسى أيضا، واتخذ الاستغلال أشكالا أخرى متفقة مع مظاهر العصر الحالى.

♦ للإعلام دوره في تشكيل الوعي، وبالتالي الانتماء، وهو في ظل النظام الرأسمالي - خاصة في حال سيادة الديكتاتورية والتصدي للمعارضة - يبيث ما يريده صناع السياسة في أذهان الأفراد، ويعتمد نسق القوة - بدرجة أو بأخرى - على أساليب غير معلنة أحيانا، مثل القهر السياسى، ويتحكم في الأفراد بطريقة خفية، ويحركهم حسب أهوائه من خلال الإعلام ونظم الإنتاج.

◆ وحدة المجتمع ضرورة، وتحقيق أهدافه واجب، لذا يجب أن تسمو فوق أهداف ومصالح الفرد، حرصا على تماسك المجتمع، وعملا على استقراره، وإن كان للتغيير - الإيجابي وليس التمرد أو الثورة - مطلباً أساسياً وحتمياً، فإنما هو واجب على كل فئات الشعب التي تحس بظلم واستغلال وسيطرة الطبقة المالكة والمسيطرة عليهم، والتي تحرمهم حقوقهم واشباعهم لحاجاتهم الضرورية.

◆ على المجتمع - لكي يحقق ترابطه وتماسكه - أن يستمد أساليب الضبط من خلال ثقافته وعقيدته وقيمه ومعايير، ولا تتخذ الطبقة المسيطرة والمالكة من الإعلام وسيلة لتبث من خلاله قيمها ومعاييرها للمجتمع، حتى يحقق الضبط جدواه، ويلتزم به المواطنون عن حب وولاء، ويسود الأمن والاستقرار، ويتحقق النمو والتطور.

◆ ضرورة أن يجد الفرد ذاته في مجتمعه، ويسعى لتحقيقها، ولا يتنازل عن فريته التي تؤكد هويته، وحين يوفر المجتمع لأفراده فرصاً لإشباع حاجاتهم، فإن الأفراد بالتالي يسعون جاهدين لتحقيق حاجات المجتمع، وإنجاز أهدافه عن حب وولاء.

◆ على الفرد أن يقدم تنازلات، ويستجيب لأساليب الضبط الاجتماعي، بشرط أن يكون الهدف هو مصالح الأغلبية، وأن يتكيف مع الوضع القائم إن كان يسوده العدل، لأن هناك فرق بين المجتمع من حيث هو غالبية للشعب على تنوع فئاته، وبين صفة أقلية مالكة ومسيطرة، والفرق بين كلا الطرفين هو الفرق بين الانتماء الحقيقي للمجتمع، والانتماء الزائف لقلّة مسيطرة ومالكة (أي فئة بعينها).

◆ الانتماء الحقيقي، هو الانتماء للمجتمع الذي يمثل غالبية جماهير الشعب بكل فئاته، لأن الانتماء للصفة المالكة المسيطرة إنما يعني الاغتراب لكل من هو خارج هذه الأقلية، ولهذا الاغتراب عواقبه الوخيمة ومشكلاته التي تتسبب في تفكك بنية المجتمع، وتخلفه نتيجة لما يعترى أفراد من مشكلات اقتصادية واجتماعية ونفسية.

◆ الانتماء الحقيقي يتأكد، إذا تحقق وعي الأفراد بقضايا مجتمعهم الكبرى، ويصبح لديهم وعياً حقيقياً بما يحدث في البنية الاجتماعية من تغييرات، ويقوي لديهم إحساساً بالمسئولية الأخلاقية، والالتزام السياسي، والمشاركة فيه، وخلق المجتمع من السيطرة والاستغلال، حتى وإن كان هناك ملكية خاصة، لا بد من وجود ملكية عامة للمؤسسات

الأساسية التي تمس حياة الغالبية من الأفراد، وأن يحرص النظام على إشباع الحاجات الأساسية لجميع أفراد المجتمع.

♦ **المنتمى الحقيقي** هو ذلك الذي يرفض استغلال الطبقة المسيطرة التي تزداد غنى على حساب غالبية فئات الشعب التي تزداد فقرا، ويطالب بتغيير ما هو كائن - بالطرق الإيجابية البناءة - إلى ما يجب أن يكون، ولصالح الجميع، ليس رفضا للطبقية ولكن رفضا للتفاوت الشديد بينها، واتساع الهوة بين فئات الشعب، واستغلال الفئة الغنية المحدودة للفئات الفقيرة المتعددة من غالبية الشعب.

ومما سبق يمكن استخلاص أهم المظاهر الإيجابية للانتماء للوطن التي تتضح في توحيد الفرد بوطنه، واندماجه فيه، والشعور بالاعتزاز والفخر به، ملتزما بقيمه ومعاييره وتقاليد، ويكون على وعي بمجريات الأمور فيه، في النواحي الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، ويكون على وعي بمشكلاته وقضاياها داخليا وخارجيا، ويسهم في تحقيق إنجازات وطنه، وتحقيق أهدافه، قدر إمكانياته، ويكون على ثقة في مقدرة وطنه على تجاوز سلبياته، وأن يسعى دائما للعمل في إطار الجماعة بإخلاص وحب، وإن دعت الضرورة للمفاضلة بين مصالحه ومصالح الجماعة، فلتكن مصلحة الجماعة أولا، وبتحقيقها يحقق الفرد ذاته، ويشعر بالرضا والفخر، ويشعر بالاستقرار الانفعالي والوجداني، محققا مكانة ذات تقدير اجتماعي، فالانتماء هو الطريق إلى الأمان وتقدير الذات، وتحقيق النمو والتقدم الاجتماعي.

وعلى النقيض من ذلك يترتب على ضعف الانتماء: سيادة القيم الفردية، والأنانية، والسلبية، وعدم الالتزام بالقيم والقوانين نتيجة لتضارب المعايير السائدة في المجتمع، وكثرة المشكلات والقضايا المجتمعية التي تؤدي إلى تفكك المجتمع، وعدم استقراره اقتصاديا وسياسيا، وتعرضه لأزمات مختلفة في نوعها ومداها، فتحول دون إشباع حاجات المواطنين الأساسية نتيجة لقلّة الإنتاجية، والسعي وراء الكسب السريع حتى وإن كان بطرق ملتوية.

رابعاً: أنماط الانتماء للوطن:

تصنف الباحثة أنماط الانتماء للوطن كما يلي:

(١) انتماء حقيقي:

يكون فيه لدى الفرد وعي حقيقي لأبعاد الموقف، والظروف المحيطة بوطنه داخلياً وخارجياً، ويكون مندركا لمشكلات وقضايا وطنه، وقادراً على معرفة أسبابها الحقيقية، وطبيعة هذه المشكلات، والأسباب الكامنة خلفها، وموقفه منها، والاکثرات بأرائها ونتائجها، ويكون المنتمى هنا مع الأغلبية ويعمل لصالحها، ويؤمن بان مصلحة الأغلبية والعمل من أجل الصالح العام وسلامة المجتمع ونموه وتطوره، هو الهدف الذي يجب أن يسمو على الفردية والأنانية.

(٢) الانتماء الزائف:

هو ذلك الانتماء المبني على وعي زائف، بفعل المؤسسات الرسمية وغير الرسمية، التي قد تشوه حقيقة الواقع في عقول المواطنين، وبالتالي قد تصبح رؤيتهم للأمور

* تعددت محاولات تصنيف الانتماء التي قال بها الباحثون والمتخصصون كالتالي:

١ - تصنيف حسب الموضوع (الانتماء للإسلام - الأسرة - الوطن - والمستويين الآخرين متفرعين عن الأول) في: عبدالله مبروك النجار، الانتماء في ظل التشريع الإسلامي؛ القاهرة، المؤسسة العربية الحديثة للنشر، ١٩٨٦، ص ٢٨.

٢- تصنيف نوعي (مادى يعتبر الفرد عضو في الجماعة، ظاهري يعبر عن مشاعره لفظياً، إيثاري يعبر عن الموقف الفعلي) في: افامى محجوب، مرجع سابق، ص ٤٧ - ٥٠.

٣ - تصنيف حسب طبيعته (إما قبل عضوية الفرد في الجماعة - أو بعد عضويته فيها) في: سناء حسن مبروك، الهوية والانتماء في المجتمع الصحراوي المصري، ماحستير، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٤، ص ٤٧.

٤ - تصنيف في ضوء السوية (سوى يتفق مع معايير الجماعة، وغير سوى يتحد مواقف عدوانية معها)، وتصنيف في ضوء القوة (قوى يدفع بالجماعة للتقدم، ضعيف يسبب في تدهور الجماعة وتمككها) في: عبلة محمود إبراهيم، مرجع سابق، ص ١١١.

٥ - تصنيف كينئي (شكلي يحكم العضوية تحت تأثير الجنسية واللغة، وموضوعي، حقيقي يدرك الفرد فيه حقائق الواقع ويكون فيه مشاركاً، زائف حيث الرؤية غير الحقيقية للواقع) في: نجلاء عبد الحميد راتب، مرجع سابق، ص ١٤٥ - ١٥٣.

والمواقف غير حقيقية، وغير معبرة عن الواقع الفعلي، ومن ثم يصبح الوعي والإدراك لهذا الواقع، وعيا مشوها غير حقيقي، وبالتالي ينبثق عنه انتماء زائف ضعيف غير حقيقي، كما يعتبر انتماء الفرد لفئة غير فئته، أو طبقة غير طبقته انتماء زائفا.

(٣) الانتماء لفئة بعينها:

وهنا يعمل الفرد على مصالح الفئة التي ينتمى إليها دون سواها من الفئات داخل المجتمع الواحد، وبالرغم من أن وعيه بها وعي حقيقي وانتمائه لها انتماء حقيقي، إلا أنه قياسا على انتمائه للمجتمع ككل، فهو وعي غير حقيقي وانتماء غير حقيقي، لأنه يعمل وينتسب لجزء من الكل فقط، فلا يعي ولا يدرك، ولا يعمل إلا لصالح هذا الجزء، ويتربط على ذلك آثار وخيمة من تفتت لبنية المجتمع، بل ووجود الصراع بين فئاته، يزداد حدة كلما ازدادت الهوية بين هذه الفئات، مؤديا لتدهور المجتمع وتفككه، حيث ستعمل كل فئة لصالحها هي فقط وأولا، على حساب غيرها من الفئات.

خامسا: التحليل الفلسفي لبعض المفاهيم المرتبطة بمفهوم الانتماء:

إن الانتماء - شأنه شأن أى مفهوم ومبحث فى العلوم الاجتماعية - يرتبط بعدد من المفاهيم، ومن ثم لا يمكن فحصه وتحليله دون رصد ما وتدارسها، فإنه - حسبما تعتقد الباحثة - من الضروري تناول المفاهيم الأكثر ارتباطا وتداخلا وتفاعلا مع الانتماء، وهى: (الوعي، الهوية، الفردية، الحب، الوطنية، كمقومات وركائز للانتماء، والاعتزاز كمقابل سلبي له) مدعمة ببعض الدراسات العالمية والمحلية، وذلك تمهيدا لما يلحق ذلك من محاولة رصد وتحليل بعض ملامح الانتماء في إطار النسق القيمي للمجتمع المصري، وذلك على أثر انتهاء سياسة الانفتاح منذ منتصف السبعينيات.

(١) الوعي Consciousness:

ولما كان الوعي والانتماء يرتبطان مع بعضهما البعض بعلاقات متشابكة متفاعلة، فمن الضروري تناول تعريف الوعي، فقد عرف معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية الوعي بأنه "إدراك المرء لذاته، ولما يحيط به إدراكا مباشرا، وهو أساس كل معرفة، ويمكن

إرجاع مظاهر الشعور إلى (المعرفة، الوجدان، النزوع) وهذه المظاهر الثلاثة متصلة ببعضها البعض، وللشعور مراتب مختلفة، منها الشعور الظاهر، واللا شعور، ويتضمن الميول والرغبات المكبوتة، وما قبل الشعور pre conscious وهو كل ما يكمن وراء الشعور مباشرة، وما يمكن للفرد استحضاره متى أراد، ويعتبر مرحلة متوسطة بين الشعور واللا شعور^(١).

ويوجد وعى ذاتي وآخر اجتماعي، ويرى "جورج هربرت ميد" George H. Mead أن "الوعي الذاتي يميز الإنسان بأن له ذاتا، وهو المخلوق القادر على أن يكون ذاتا وموضوعا في وقت واحد، لأنه بإمكان الإنسان أن يمر بالخبرة، ويدرك ويعي هذه الخبرة، وتعد القدرة على نظرة الإنسان إلى ذاته سمة مميزة له، ويعتمد الوعي الذاتي على مقدرة الإنسان أن يكون نفس الاتجاه نحو ذاته، كما يأخذ به الآخرون نحوه"^(٢).

وفي هذا بحث إحدى الدراسات في مدى ارتباط الوعي الذاتي الخاص، بمدى المعرفة الدقيقة للذات عن نفسها، مما أكد فرض الدراسة بأنه كلما كانت رغبة الأفراد في معرفتهم لأنفسهم أكبر، كلما كان لديهم وعي ذاتي خاص وعام أكبر، وجاء ذلك متفقا مع "تشيك" Cheek، "برجز" Briggs ١٩٨٢، اللذان وجدا أن نوى الدرجات العليا في الوعي الذاتي، حصلوا على درجات أعلى في مقياس سماتهم الشخصية المتعلقة بالهوية، أكثر من هؤلاء ذوى الدرجات المنخفضة في الوعي الذاتي الخاص^(٣).

أما الوعي الجماعي، أو الشعور الجمعي Collective Consciousness فهو وعى الأفراد بالعلاقات الاجتماعية بينهم، وبتجاربهم المشتركة، وقد ينحو هذا الشعور نحو الاشتراك في تحمل المسؤولية والنهوض بمجتمعهم، كما يطلق على الشعور الجمعي أيضا الوعي الاجتماعي Social Consciousness^(٤).

١- أحمد زكي بلوى، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص ٨١.

٢- إحسان محمد حفطي، الوعي والمشاركة ودورها في إنجاح التنمية الحضرية، ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، ١٩٩٢، ص ١٤٣.

3- Franzoi, Stephen L., et al., "A Motivational Explanation for Existence of Private Self-Consciousness Differences". *Journal of Personality*; 58, 4, Dec., Duack Univ. Press, 1990, PP. 641-657.

٤- أحمد زكي بلوى، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص ٨١.

فالوعى الاجتماعى هو جملة الآراء والمفاهيم والتصورات النظرية السياسية والقانونية والأخلاقية والجمالية، الممثلة للجانب الروحى من حياة المجتمع للبناء الفوقى المرتكز على البناء التحتى المادى، ومن ثم فالوعى الاجتماعى هو البنية الفوقية الروحية للمجتمع^(١). ويرى ماركس أن الإنسان كائن اجتماعى، لا يوجد إلا فى مجتمع، يؤكد الحياة الاجتماعية، ولا تتحقق ماهية الإنسان إلا بالعمل الذى يكسبه حقيقته الواقعية، ولذلك كانت مطالب الإنسان وحاجاته أمرا أساسيا فى فكر ماركس جعلته ينتقد المجتمع الطبقي الذى لا يضع حاجات الإنسان فى اعتباره^(٢).

ويشير "كول" Cole إلى أن الطبقة لا يمكن أن تعرف من زاوية وحدة الخبرة الاقتصادية وحدها "فالطبقة تكون طبقة بالمعنى الكامل والايجابى، بقدر ما يسودها روح الولاء والانتماء، ويرفض الرأى القائل بأن جماعة ما تكون طبقة ليس فقط بوحدة المصلحة، وإنما بقدر ما يعى أفرادها هذه الوحدة فى المصلحة، وبقدر ما يدركون أهمية التضامن من أجل تحقيق الوعى الطبقي، ويرى أن الوعى الطبقي ليس ضروريا لتعريف الطبقة، وإنما المهم هو الشعور بالانتماء والولاء مع أقرانهم، وأن يسود الجماعة روح ومشاعر الولاء الطبقي، فالوعى الطبقي يتضمن تحول الولاء الطبقي إلى مفهوم عقلانى للتضامن، وإلى أداة هامة لتقوية الروابط بين أعضاء الطبقة الواحدة، ومن المهم أن يتوفر مثل هذا الوعى على الأقل لدى النخبة التى تتولى قيادة الطبقة"^(٣).

فالوعى الطبقي هو: العملية التى يصبح من خلالها أعضاء طبقة معينة فى حالة وعى بكيانهم الجمعى، وهكذا ارتبط هذا المفهوم بفكرة الصراع الطبقي، كما يتضمن الإرادة الواعية والإدراك للأعداء الحقيقيين للطبقة، وحالة البؤس التى يعيشون فيها، مقابل الظروف التى يعيشها أعضاء الطبقة الأخرى المسيطرة، والشعور بالتضامن الطبقي مع

١- محمد فرج، الدولة وتشكيل الوعى الاجتماعى؛ دراسة فى الدور الأيديولوجى للدولة، قضايا فكرية، الكتاب الأول، يوليو ١٩٨٥، ص ١٤٥.

٢- عبد الباسط عبد المعطى، اتجاهات نظرية فى علم الاجتماع، عالم المعرفة؛ ع (٤٤)، الكويت، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، أغسطس ١٩٨١، ص ص ١٠٠-١٠٣.

٣- إبراهيم حسن العيسوى، نحو خريطة طبقية لمصر، الإشكالات النظرية والاقتراب المنهجي من الواقع الطبقي المصرى؛ القاهرة، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٨٩، ص ٤٣.

الأخرين بنفس الطبقة، والوعى بمصلحة الطبقة وأهدافها المشتركة، وتوحيد الجهود فى شكل تنظيمات معبرة عن ذلك الوضع، وإذا توحد الفرد مع طبقة اجتماعية لا ينتمى إليها، وإذا انتصر لمصالح لا تتفق مع المصلحة الموضوعية الخاصة لطبقته، فإن وعيه يكون وعيا طبقيا زائفا False-Class Consciousness^(١).

ولما كانت البنية الطبقيّة فى أى مجتمع تتضمن فى محتواها العام العلاقات بين الناس، فهى بمثابة المحاور فى بناء وتشكيل وعيهم، وتسهم فى ظهوره واستمراره وتطوره أو تدهوره، ولقد أثبتت نتائج دراستين* أن البنية الطبقيّة يمكن أن تحدد الوعى، وبرغم الانفصال بينهما، إلا أن كلا منهما يؤثر فى الآخر، ويبرز خصائصه.

فى حين أن "دوركايم" أشهر علماء الوظيفة، نعت الوعى بالضمير الجمعى، ويرى أن المجتمع هو مصدر العقلانية والوعى، وأن الضمير الجمعى هو الذى يحدد القواعد الحاكمة للسلوك من الخارج، بالإضافة إلى تشكيل غايات السلوك التى تشكل جوهر الشخصية الفردية^(٢) "ويعد الوعى هو أساس الحياة الاجتماعية فى نظر الوظيفة ومن ثم فإن أى تغيير فى هذه الحياة، يأتى نتيجة التغيير فى وعى الناس ومفاهيمهم وتصوراتهم وقواعدهم الأخلاقية، وليس عن طريق العمل، ومن هنا يتضح البعد الأيديولوجى لهذه النظرية حيث إن إلغاء الإرادة الواعية، يعد سلاحا روحيا من أجل تبرير السيطرة، والاستغلال من قبل الطبقات البرجوازية"^(٣).

والوعى الاجتماعى هو: وعى يقظة ودراية، وعى بصيرة وإحساس، وعى يقظة الشخصية الحرة، وحساسية الفرد المقدر لذات الآخر تقديره لذاته، وعى التعاطف مع مشاعر الآخر، وعى بـ (المكانة) والدور الاجتماعى^(٤).

١- محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، القاهرة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩، ص ٦١، ٦٢.

* - عبد الباسط عبد المعطى، الوعى التنموى العربى، ممارسة بحثية، مرجع سابق.

- عبد الباسط عبد المعطى، الصراع الطبقي فى القرية المصرية، القاهرة، دار الثقافة الجديدة، ١٩٧٧.

٢- على ليلة، مرجع سابق، ص ٥١٤ - ٥١٥.

٣- على أحمد طبوشة، وسائل الاتصال الجمعى والوعى السياسى؛ ماجستير، كلية الآداب، جامعة عين شمس،

١٩٨٦، ص ٢٧.

٤- سيد عثمان أحمد، المسؤولية الاجتماعية والشخصية المسلمة؛ القاهرة، الأنجلو المصرية، ١٩٨٢، ص ١٧، ص ٢٠.

وهكذا يتنوع الوعي، فهناك: الوعي الذاتي، والوعي الاجتماعي، والوعي الحقيقي والوعي الزائف، والوعي الطبقي، ومما يشير إلى تنوع مجالات الوعي فهناك الوعي السياسي، والوعي الثقافي، الوعي الديني..... إلخ.

ولعل أشد أنواع الوعي ارتباطا بالانتماء الوعي السياسي، ويقصد به "معرفة المواطن لحقوقه وواجباته السياسية، وما يجرى حوله من أحداث ووقائع، وكذلك قدرة المواطن على التصور الكلى للواقع المحيط به، كحقيقة كلية ومرتبطة، وليس كوقائع منفصلة وأحداث متناثرة لا يجمعها رابط، بالإضافة إلى قدرة المواطن على تجاوز خبرات الجماعة الصغيرة التي ينتمى إليها، ليعانق خبرات ومشكلات المجتمع الكلية"^(١).

ويرى "إريك فروم" أن التصويت في الانتخابات السياسية، لا يمكن أن يكون ذا معنى إلا إذا استطاع الفرد أن يكون رأيا عن اقتناع حقيقي، وهذا لا يتم إلا إذا توافر شرطان: الأول وجود معلومات كافية، والأخر أن يدرك أن لرأيه قيمة وأثرا"^(٢).

مما سبق يتضح أن الوعي كعامل ذاتي، هو نتاج البنية الاجتماعية كعامل موضوعي، وتتأثر هذه البنية بالأوضاع السياسية والاقتصادية، وقد كان لسياسة الانفتاح أثرها - كما يرى البعض - في توسيع الهوة بين الفئات، بل سيادة الفئة المالكة والمسيطرة اجتماعيا واقتصاديا وأيديولوجيا، تلك التي قد تعمل على تسطيح الوعي وتزييفه لدى الجماهير، بما يخدم مصالحها، وربما يأتي ذلك على حساب أغلبية جماهير الشعب، وبمعنى أدق بما يخدم مصالح الفئة البرجوازية المحلية المالكة والمحدودة.

ولما كان الوعي أعم وأشمل من الانتماء الذي يمثل بالتالي أحد وأهم قضايا الوعي، فإنه نتيجة لتزييف الوعي، قد يحدث خلافا في انتماء المواطنين لوطنهم.

(٢) الهوية Identity:

انطلاقا من أن الشعور بالهوية ينشأ من خلال الانتماء، وأن الانتماء، يدعم الهوية ويقويها، فمن الضروري الإشارة إلى مدى العلاقة المتبادلة بينهما، استنادا لنتائج بعض

١- حسن طنطاوى، الوعي السياسي لدى طلاب المرحلة الثانوية في مصر؛ ماجستير، كلية التربية، جامعة عين شمس، ١٩٩٢، ص ٥٣.

٢- إريك فروم، الإنسان بين المظهر والجوهر، مرجع سابق، ص ص ١٩٨ - ١٩٩.

الدراسات، فالهوية باعتبارها وليدة الانتماء، هي الوجه الإيجابي الذي يؤكد وجوده، والانتماء يؤدي إلى الهوية، مما يحتم ضرورة الوعي بالهوية، على أنها سبب للانتماء ونتيجة له في آن واحد.

وحيث إن "الارتباط الانتمائي، يثبت الهوية ويعمق للشعور بها، فإن غرس عادة الإعلان عن الهوية، هي نوع من التأكيد والاعتزاز، وتعيد تربوي يخدم عملية التعبئة الولائية"^(١).

وقبل أن نتطرق الدراسة إلى العلاقة التفاعلية بين الهوية والانتماء، لابد بداية من تعريف الهوية، ورغم تعد المصادر التي تناولتها بالتعريف إلا أنها اتفقت في معظمها على أنها تشير إلى التساوي، المشابهة، التماثل، وأنها مشتقة من ال (هو)، وأنها الشيء وعينه، ووجدته وتشخيصه وخصوصيته، ووجوده المتفرد، حيث تميز الفرد عن غيره من خلال (الاسم، الجنسية، الحالة العائلية....) وبموجب القوانين، يثبت الشخص هويته، من خلال بطاقة الهوية Identity Card، كما تشير الهوية إلى أن الشيء أو الشخص هو نفسه، حيث تشير إلى حقيقة الشخص المتضمنة صفاته الجوهرية، والتي تميزه عن غيره، وقد شبهها البعض بالبصمة^(٢).

وإن كان "أرسطو" قد وضع تصورا عن الهوية صيغته (أ) هي (أ)، فإن "هيجل" قال بإمكانية قبول الشيء ونقيضه في نفس الوقت وعلى نفس الحالة، وبذلك أصبح هناك تصور

١- على حسن الفريضي، دراسة تحليلية لقومات التربية السياسية في ضوء القرآن والسنة، دكتوراه غير منشورة، كلية التربية، جامعة عين شمس، ١٩٨٦، ص ١٨٥.

2- Blanchard, Brand, "Identity" In Encyclopedica Americana; Meart India, Deluxe Library, Edition, Vol. 14. 1990, P.743.

وانظر:

- مراد وهبة، المعجم الفلسفي؛ ط ٢، القاهرة، دار الثقافة الجديدة، ١٩٧١، ص ٢٤٧.
- عبد المنعم الحفني، المعجم الفلسفي؛ ط ١، القاهرة، الدار الشرقية، ١٩٩٠، ص ٣٦٩.
- أحمد محمد خليفة وآخرون، الهوية والتراث؛ ط ١، القاهرة، دار الكلمة للنشر، ١٩٨٤، ص ٤٢، نقلا عن مجمع اللغة العربية.

- Webster, S., Op. Cit., P.721.

- Howkins, Joyce M. & Allen. Rubert, Op. Cit., P. 707.

آخر للهوية لا يعتمد على اتساقها ووحدها بقدر ما يقوم على مقارنتها بالآخر كذات و كهوية. وأصبح وجود الآخر ضرورة لمعرفة الذات والحكم على هويتها، وأصبحت الهوية لا تتحدد بمكوناتها بل يضاف إليها علاقتها بالآخر مما يشير إلى أهمية الآخر بما له من قيمة وفعل في تكوين الهوية. ولما كانت الهوية نبت ظروف مجتمعية محددة، فهي ليست تابعا سلبيا للمجتمع وظروفه، ولكنها في حد ذاتها أنشط وأهم عناصر بناء وتشكيل المجتمع والتأثير في توجهاته. كما تتجسد أزمة الهوية عندما يشعر مجتمع ما، بأن إطاره الثقافي لا يشكل له معينا يمكنه من تحقيق أهدافه، ويمثل سياجا حاميا وموجها لحركته الواقعية وتطلعاته المستقبلية، ومن ثم تكون عوامل الإحباط الثقافية أكثر من عوامل الإنجاز، الأمر الذي ينعكس بالسلب على الإحساس الفردي والجماعي بالهوية الثقافية للمجتمع، مما يؤكد على ضرورة اهتمام المجتمع بتلبية احتياجاته، ويجعلها منطلقا يسعى به ومعه لعالم يتسع من حوله ودائم التغيير، لأن أزمة الهوية تنتج من كون الثقافة عاجزة إلا من إعادة إنتاج ذاتها، وقد يرجع ذلك إلى العوامل المجتمعية (السياسية والاقتصادية، والتعليمية)، وعوامل ذاتية، وهي عوامل متشابكة متفاعلة معا في الواقع^(١).

وهكذا فإن الهوية تشير إلى التشابه العام لخصائص ومميزات جوهرية، حتى وإن كانت هناك بعض الفروق الظاهرية السطحية^(٢) فهي تشير إلى "المشابهة والمماثلة في كل شيء جوهرى، وعليه فإن هوية الفرد، تعنى أن يكون له ما يميزه عن غيره، ولديه وعى بماهيته، وبالأخرين حوله، كما تشير إلى الانتماء لبلد بعينه، ووجود رمز يجمع عليه أفراد الأمة"^(٣).

وتعتبر الهوية من أكثر الحاجات الإنسانية الشائعة في الجنس البشرى، فهي بمثابة حاجة ضرورية وهدف يحتم الانتفاع به والسمى إليه، وهي واجب من الضرورى الوفاء

١- أحلام محمد عبدالمعظم، "أزمة الهوية في الخطاب التربوي الرسمي المعاصر في مصر، دراسة تحليلية نقدية"، كلية التربية، جامعة الأزهر، مجلة التربية للبحوث التربوية والنفسية والاجتماعية؛ ع ٥٢، نوفمبر ١٩٩٥، ص ص ١٨٠ - ١٩٠.

2- English, H. B. & English, A. C., Op. Cit., P.249.

٣- عصام أحمد حسين، إدراك الهوية القومية لدى الطفل المصرى؛ ماجستير، معهد الدراسات العليا للطفولة، جامعة عين شمس، ١٩٩١، ص ١٣.

به، ولقد وردت الهوية ضمن قائمة أنطوني جيندز Anthony Giddens بأنها مطلب أساسي لكل البشر، ويعتبر تحديدها واجبا ضروريا وحتميا، وهي فى الوقت نفسه مسئولية هامة، تقع جزئيا على عاتق المسؤولين، الذين بدورهم عليهم مهمة ضبطها وتوجيهها. على اعتبار أن شكل ومضمون الهوية من أهم الواجبات التى لا يمكن تجاهلها أو التخلي عنها^(١).

وتذهب بعض التعريفات إلى أن الهوية الاجتماعية هى تلك السمات الخاصة بمفهوم الذات الفردية فى ضوء أسس ومراكز لجماعتهم الاجتماعية، وعضويتهم الطبقية معا، ومع ارتباطاتهم العاطفية، والتقييمية وغيرها من الارتباطات السلوكية، التى تربطهم بهذه الجماعة مؤكدة انتماءاتهم إليها^(٢).

وهكذا تتضح العلاقة التفاعلية التبادلية بين الانتماء والهوية، فكلاهما يؤثر فى الآخر ويتأثر به، وحيث إن الانتماء حاجة ضرورية وأساسية للفرد، تحركه نحوها ميول ودوافع قوية، فعالبا ما يكون انتماء الفرد لمن يحقق له إشباع هذه الحاجات سواء أكان فردا أم جماعة أم مجتمعا.

وحيثما يتدارس الفرد معنى انتمائه، يستطيع أن يعرف من هو؟ ولماذا هو موجود هنا؟ ولأى هدف يسعى؟ فمع حاجة الإنسان للانتماء، يتولد مفهوم الهوية، الذى يظهر فى أشكال متعددة ومختلفة: فأحيانا يكون الانتماء إلى جنسية، أو قومية، أو دين، أو وطن، فالهوية دائما منطلق لأفعال الإنسان، وهدف لها، ومبرر لوجوده الجماعى، وعندما تتهدد الهوية، يتهدد معها كل فرد ينتمى إليها، وبالتالي على الفرد أن يدافع عنها بكل الوسائل، وعندما يعى الإنسان عضويته فى مجتمع معين، ويدرك أن هويته تقترب بهوية هذا المجتمع، يدفعه ذلك إلى التمسك بمجتمعه، لأن العضوية فيه تحقق للفرد حاجاته الأساسية، مما يدفع الإنسان إلى إضافة قيمة عليا لمجتمعه، ورفعته فوق المجتمعات الأخرى^(٣).

1- Bauman. Zygmunt, "Soil. Blood. Identity". *Psychological Review*, Vol. 40, No.4, Nov. 1992. PP. 675 - 698.

2- Feather. N. T., "Values, National Identification and Favouritism Towards the In-Group", *British Journal of Social Psychology*, 33, 1994, P. 467.

٣- عصام حسين أحمد، إدراك الهوية القومية لدى الطفل المصرى، مرجع سابق، ص ص ٢٥-٢٦.

ومن بين الذين اهتموا بالبحث في الهوية "وليم بلوم" William Bloom الذي لجأ إلى مدخل نفسي، عرفه بنظرية التوحد Identification، فقد لاحظ أن البشر يشتركون دائماً في غرض أساسي، يحثهم باستمرار على حمايتهم لهويتهم، وأنهم من خلال توحدهم، يرتبطون معا في عدد من السمات النفسية المتشابهة، ليحافظو على هويتهم، ويعملوا على تقويتها، بل والدفاع عنها، مشيراً إلى أن فشلهم في تحقيق ذلك، له أضراره البالغة على الأفراد، والمجتمع.

وقد حدد "بلوم" ديناميكية الهوية القومية من خلال أسلوب التوحد الاجتماعي Social Identification الذي يشير إلى التصنيف الذاتي كتفسير وتوضيح لكيفية تحول الأفراد داخل الجماعات، ويرى أنه من خلال عملية التصنيف تم التأكيد على المتشابهات والاختلافات بين الذات والآخرين داخل الجماعة وفي الجماعات الأخرى الخارجية. ينتج عن ذلك إدراكا ذاتيا، وتعريفا ذاتيا، مما يساعد على عملية التمثيل الفردي في تحديد الخصائص المميزة للجماعة أو نمطية الجماعة⁽¹⁾.

ولقد حدد "بريكول" Breakwell كل من البطالة Closs Employment والصراعات الثقافية Cultural Conflict كمؤثرات على تشكيل الهوية، وأشار إلى أنه حين يواجه الفرد تهديدا بسبب هويته، فإن عليه أن يعدل الأسلوب الذي يشعر به نحو تلك الهوية، لأن توحد الفرد مع الجماعة أساسي، ويؤثر على تقدير الذات للفرد المرتبط بالجماعة، فقد يصبح مفهومه عن ذاته سلبيا. وطبقا لنظرية الهوية الاجتماعية يرتبط استقرار الهوية بمدى توحد أفراد الجماعة، وأنه على الفرد الذي ينتمي إلى جماعة ذات توحد منخفض أن يتجنب مواجهة مواقف أو تجارب تتسم بتقدير ذات منخفض، لأن الفرد الذي لديه تقدير ذات منخفض - وكانت الجماعة أقل توحدا - فإنه قد يضطر أحيانا إلى الانسحاب من الجماعة، وتعتبر الحاجة لشعور الفرد بالتقدير الذاتي دافعا أساسيا وإنسانيا، فيمكن للفرد

1- Neumann, Ivern B., "Identity and Security". *Journal of Peace Research*; Vol. 29 No. 2, 1992, PP. 221-226.

أن يعيش ولديه إحساس بتقدير ذات منخفض، ولكنه لا يستطيع أن يعيش مع جماعة ذات توجد منخفض⁽¹⁾.

وقد ربطت إحدى الدراسات بين الهوية ومفهوم الذات ومدى ارتباط الفرد بجماعته وانتمائه لها، وكانت عينة الدراسة تتكون من ٦٥ طالباً وطالبة بالسنة الأولى الجامعية، من أصل وخلفية ثقافية أسبانية وإن تنوعت جنسياتهم، وتراوحت أعمارهم بين ١٧-١٩ سنة، بمتوسط ١٨ سنة. ولكي يتم تقييم هوية الطلاب كان عليهم أن يحددوا تعريفاً لأنفسهم، وعلى الطالب أن يحدد الهوية التي يعتبرها هامة من خلال (تعليمات تتضمن العمر، النوع Gender، علاقته بالآخرين، جنسيته أو عرقته) حتى يتم إدراك المعنى الذاتي الذي يربط الطالب بهويته، واستخدمت الدراسة مقياسين: الأول يحدد فيه الطالب أهمية الهوية التي قال بها، والآخر يقيس تقدير الذات الجماعي، الذي جاء مشيراً إلى مدى اندماج الفرد في الجماعة -وتعرف الدراسة بتقدير الذات، في مصطلح جماعي مثيرة إلى تقييم الفرد كعضو في جماعة عرقية- إلى جانب وجود مقياس ليقاس مدى الإدراك الحسي (بالتهديد)، وتدرج إلى سبعة مستويات، وتضمن عدة فقرات أشارت جميعاً إلى تهديد الطالب لأنه أسباني.

- وأما عن الارتباط العرقي فكان للمقابلات الشخصية دور هام فيها ودارت الأسئلة حول الخلفية الثقافية ومدى مشاركتهم في الأنشطة الجامعية، والانضمام إلى أصدقاء جدد. وأسفرت النتائج عن:

- ١- عدم وجود تغيرات ذات دلالة في عدد من الهويات التي ذكرتها العينة في الأهمية التي قالوا بها عن هويتهم الأسبانية أو مستوى تقدير الذات المرتبط بالهوية العرقية.
- ٢- تغير الإدراك الحسي لدى الطلاب بتهديد هويتهم الأسبانية خلال السنة الدراسية. مما يشير إلى قدرتهم على التكيف والتفاعل مع البيئة الجديدة نتيجة وجود ميول تلقائية لديهم، والارتباط الجماعي داخل الجماعة⁽¹⁾.

1- Ethier, Kathleen A. & Deaux, Kag, "Negotiating Social Identity when Context Change, Maintaining Identification and Responding to Threat". *Journal of Personality and Psychology*; Vol. 67. No. 2, August 1994. P.245.

2- Ibid., PP. 243 - 249.

يؤكد هذا على أن الارتباط بالجماعة، والتفاعل معها، يرجع إلى مدى القدرة على التكيف مع الواقع، دون إغفال رغبات الأفراد وميولهم الثقافية في هذا التكيف. إن توحد الإنسان في الغالب يكون مع موطنه الأصلي، مهما عاش في بلد آخر أكثر رخاء ورفاهية من وطنه.

وقد أشارت إحدى الدراسات إلى وجود علاقة إيجابية بين التوحد الوطني National Identification، وبين التحيز للجماعة الداخلية، وقامت على فرض مؤداه: أن العلاقات الإيجابية بين المحابة للجماعة، والتوحد مع الوطن، أقوى بين الذين لديهم قيم الجماعة، وأكثر قوة من هؤلاء الذين تقل أهمية القيم الجماعية لديهم، مما يشير إلى أثر وأهمية الجماعة في الانتماء.

وبلغت عينة الدراسة ٢١٣ من طلاب جامعة ادليد Adelaide بجنوب أستراليا (منهم ٦٥ فتى، ١٤٨ فتاة) ومن خلال تطبيق استفتاءين الأول بعنوان "الانكماش الثقافي، والآخر بعنوان مقياس القيم . وجاءت العناصر في كل منهما مرتبطة بالتوحد مع أستراليا، وموضحة أن الانكماش الثقافي يتحقق عندما يحيد الأفراد عن ثقافتهم، ويتضمن مقياس الانكماش الثقافي درجة من التقليل لمحابة الجماعة الداخلية عن الجماعة الخارجية، أما عن مقياس القيم فقد تضمن ثلاثين قيمة غائية، وست وعشرين قيمة وسيلة، وكانت كل قيمة مصحوبة بفقرة وصفية قصيرة، وأما عن التوحد مع أستراليا فقد تحقق من خلال إجابة العينة على السؤالين التاليين:

١- بوجه عام ماذا تعنى أستراليا بالنسبة لك، بوصفك أستراليا؟ وتدرجت الإجابة فى خمسة مستويات يختار من بينها المستوى الذى يناسبه.

٢- مامدى فخرك بأنك أحد أفراد المجتمع الأسترالى؟ وأيضا قد تدرجت الإجابة فى خمسة مستويات يختار من بينها.

وأسفرت الدراسة عن التالى:

- المحابة للجماعة الداخلية ذات ارتباط إيجابى مع التوحد الوطنى، وجاء هذا الارتباط أكثر قوة لدى الأفراد الذين وافقوا على القيم التى تهتم بالانسجام، والأمن، والتوجيه

الذاتي، والخيرية والشمولية، وكانت الارتباطات كلها دالة، واعتبرت كل من الخيرية، والشمولية من القيم الجماعية Collectivist Values Type واعتبر الأمن متداخلاً في الاهتمامات المختلفة، أى أن كلا من القيم الجماعية والفردية ذات تأثير في العلاقة بين المحاباة، والتوحد مع الجماعة، والانتماء للوطن^(١).

ويبدأ الفرد في إدراك هويته في سن مبكرة، فقد أثبتت إحدى الدراسات أن "السن الطبيعي لإدراك الطفل المصرى لهويته القومية تبدأ ببلوغه من ٦-٧ سنوات، ويزداد إدراكه بتقدم عمره، ويؤثر في مستوى هذا الإدراك مستوى تعليم الوالدين، والمستوى الاقتصادي الاجتماعي للأسرة، وبالتالي فإنه يمكن إسباب الفرد الاتجاهات الإيجابية نحو الولاء للوطن في سن مبكرة"^(٢). وقد حددت دراسة أخرى، "أن الطفل يمكنه اكتساب الاتجاهات الإيجابية نحو الولاء للوطن منذ سن السابعة، وذلك من خلال نشاطه مع الجماعات المختلفة، والزيارات الميدانية للمشروعات القومية، إلى جانب دور بعض المقررات الدراسية في تدعيم هذا الولاء مثل القصة، والأناشييد"^(٣).

وللهوية أهميتها، فمن خلالها يحقق الفرد ذاته في إطار الجماعة، وقد أشار إريك فروم "إلى حاجة الفرد الشديدة إلى تكوين فكرة عن ذاته، وأن يشعر بذاتيته، باعتباره يؤثر في الحياة المحيطة به، ويتأثر بها، وأشار فروم إلى أن الإنسان البدائي كان لا يستطيع أن يتصور نفسه ذو وجود مستقل عن الجماعة، التي تشكل قبيلته، وكذلك في عصر الإقطاع، فالسيد يسود، والمزارع يزرع بحكم الطبيعة، وكان نظاماً ثابتاً إلى أن سقط الإقطاع وبدأ الإنسان يتساءل: من أنا؟ وحصر "ديكارت" مشكلة الذات في عملية التفكير، ومع تطور الثقافة الغربية، التي اتجهت إلى خلق أساس للشعور بالفردية، اخترع الإنسان نظاماً يحل محل ذاتيته فأوجد (المذهب، الطبقة، الأمة، المهنة...)، ويخلق لنفسه تعبيرات تشعره بذاته وهويته، كأن يقول: أنا أمريكي أو أنا بروتستانتى، أو أنا من رجال الأعمال، وكلها صفات تسهم في تعريف الفرد بنفسه، وإن كانت صفات تتعرض للزوال، ليحل محلها

1- Feather, N.T., Op. Cit., PP. 467 - 476.

٢- عصام حسين أحمد، مرجع سابق.

٣- عبد العزيز عبد المنعم عبده، مرجع سابق.

التجانس مع المجموع، فالحاجة إلى الإحساس بالهوية، تنبثق من ظروف الوجود البشرى نفسه، وهى مصدر أقوى وأعمق مما يبذله الإنسان من كفاح فى حياته، ولا يمكن أن يكون الإنسان سليم العقل إلا إذا أحس بذاتيته^(١).

ولذا فإن الانتماء القوى "يعضد قضية الهوية، وإلى أى الجماعات يشعر الفرد بالانتماء والارتباط، والولاء الذى يوطد العلاقة بين الأفراد وجماعاتهم، فقد يكون مستوى الولاء للعائلة، أو القبيلة منخفضا أو مرتفعا، كما يختلف الولاء فى نوعه ومداه طبقا (للطبقة، والفئة، السلالة، العقيدة، المهنة)"^(٢).

وقد اثبتت إحدى الدراسات التى استهدفت البحث فى أهمية التجانس للجماعة الداخلية، فى مدى قوة الهوية وخاصة الهوية السياسية، مؤكدة على الولاء (من خلال الحزب الذى تنتمى إليه فى ضوء كل من التوحد، القوة، فتتولت الهوية من خلال الشخصية، الانتماء، الولاء الحزبى)، وكانت عينة الدراسة ٦٤ طالبا من جامعة لندن نصفهم أعضاء رسميين فى حزب العمل، ونصفهم الآخر مساندين له، وبحثت الدراسة فى مدى إدراكهم الحسى نحو أنصار حزبهم، وذلك بعد سماعهم لكلمة قالتها رئيسة حزب المحافظين "مارجريت تاتشر"، هاجمت فيها حزب العمل، وحددت لذلك أربع قضايا تميز السياسة الحقيقية لكل حزب، اشتقت منها أربع قيم هى المساواة، الجماعية، الفردية، الوطنية، كذلك حددت ثمان سمات للشخصية تتراوح بين الإيجاب والسلب، أربع منها مرتبط بالقيم - على نحو ما ذهبت الدراسة - هى الأنايية، الولاء، المساندة، العدوانية، والأربع الباقية غير مرتبطة بالقيم هى كسول، مسرور، ودود، غبى، وتم تحديد هذه السمات من خلال دراسة استطلاعية قوام عينتها ٢٠ فردا من أنصار حزب العمل، لمعرفة مدى اتفاق هذه السمات فى تصنيف الأفراد بوصف كل منهم مؤيد ومنتمى لأى حزب من الحزبين، وقام أفراد العينة بتقييم إدراكهم الحسى للتجانس بين أنصار حزب المحافظين على القضايا الأربع، والقيم الأربع، وسمات الشخصية الثمان، وتمت نفس الخطوات بالنسبة لأعضاء حزب

١- إريك فروم، المجتمع السليم، تعريب محمود محمود، مرجع سابق، ص ٤٢، ص ٤٤ - ٤٥.

٢- نادية حسن سالم، "النشئة السياسية للطفل المصرى، واقع تحليل مضمون الكتب الدراسية"، المجلة الاجتماعية

القومية؛ ع ١٤، ٢، ٣، مجلد ١٩، القاهرة، المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية، ١٩٨٢، ص ٢١.

العمل، وأسفرت النتائج عن: وجود علاقة إيجابية بين تجانس الجماعة الداخلية، وبين قوة الهوية السياسية، والانتماء الحزبي، وأنه كلما زادت درجة الارتباط، كلما زاد التجانس، وزاد الانتماء، وقويت الهوية⁽¹⁾.

وفى هذا تأكيد على الدور الخطير الذى تلعبه الهوية فى تحديد مدى الانتماء، الذى يتضح فى مدى درجة الارتباط والمساندة لما ينتمى إليه الفرد.

ولقد ميز "روى" Roy بين نوعين من أزمة الهوية، يتمثل الأول فى عجز الهوية، وأرجعه إلى أزمة الدافعية Motivation لدى الفرد، ويتعلق بالتغيرات الداخلية، حيث تفتقد خبرة الفرد الترشيح وتوجيه الالتزامات، ولكنه يبذل قصارى جهده من أجل تحقيق أهدافه الشخصية وقيمه، ويتمثل الآخر فى صراع أو تناقض الهوية، وهو وليد للتغيرات الموقفية Situational، ويتعلق بأزمة الشرعية الصحيحة، وفيها تتعارض سلوكيات الفرد نتيجة تعارض التزاماته، والتي قد تودى إلى تضليل أحد الالتزامات فى بعض المواقف. واعتبرت "ميرسيا" Mercia أن من أسباب أزمة الهوية لدى المراهقين خاصة، التناقض الوجدانى، والذى يبدأ منذ الصغر فى علاقتهم بالديهم، وقد اتفق معها "إريكسون" Erikson فى أن التسلسل والتناقض الوجدانى بين الآباء والأبناء وراء أزمة الهوية لدى الأبناء⁽²⁾.

وهكذا تنشأ الهوية من الانتماء، وتعود إليه لتؤكد وجوده، وتعمل على تقويته من خلال مشاعر الولاء والإخلاص له، كما أن البحث فى الهوية، ليس بمثابة شئ كنا نملكه، ثم أضعناه، أو نفتقده بالفعل، بل هو البحث فى وحدة الانتماء، وليس بمعنى التجانس فقط، بل الوحدة فى المتنوع، وكل ما يودى إلى التقارب أو الالتقاء عند نقطة مشتركة⁽³⁾ مما يؤكد أن التماسك الاجتماعى، يحقق الولاء، ويقوى الانتماء الذى يتضح فى مدى اعتراز الفرد بهويته والفخر بها أينما كان، فالهوية دلالة ووليدة الانتماء.

1- Kelly, Caroline, "Political Identity and Perceived Intra-Group Homogeneity" *British Journal of Social Psychology*; 28, 1992, PP. 239 - 250.

2- Baumeister, Roy F., et. al. "Two Kinds of Identity Crisis", *Jornal of Personality*; Dulke University Press, 53.3. Sept., 1985, PP. 407 - 420.

3- أحمد محمد خليفة، الهوية والتراث، مرجع سابق، ص ٥٩.

(٣) الفردية Individuality:

الانتماء لا يمتنع الفرد، بل يعمل على تحقيقه وتدعيمه من خلال جماعة الانتماء، ولكنه يرفض الفردية Individuality، حيث (السلبية، اللامبالاة، الأنانية) باعتبارها أهم مسببات إهدار إمكانات المجتمع، وسببا في تفككه، فهناك ارتباط وثيق بين الانتماء والتفرد باعتباره أحد جوانب الانتماء الإيجابية، أما الفردية فإنها فى الغالب تولد مشاعر لا انتمائية، وإذا مالت إلى درجة أقصى من التطرف، فإنها تؤدي إلى صورة بالغة من الاضطراب النفسى، ويرى "هالزر" Hallar أن اللا منتمى هو شخص موزع النفس، ينشد التوحد النفسى، وهو أنانى ويفكر فى نفسه فقط^(١).

فى حين يشير "ادلر" Adler إلى تئرد الشخصية، ويرى أن كل شخص صياغة فريدة من الدوافع والسمات والاهتمامات، والقيم، واعتبر أن كل فعل يصدر عن الشخص يحمل طابع أسلوبه الخاص، والتميز فى الحياة، وأن أسلوب الحياة هو مبدأ النظام الذى تمارس بمقتضاه شخصية الفرد وظائفها، إنه الكل الذى يصدر الأمر للأجزاء، وأن النقائص النوعية التى يعانيتها الشخص سواء كانت متوهمة أم حقيقية، هى التى تحدد أسلوب الحياة^(٢).

إن الإنسان لا يستطيع أن يحيا إلا فى مجتمع، "وهو يعرف أن أصداء الجماعة لابد وأن تخترق ماهية وجوده، بل وتنفذ إلى أعمق أعماقه، ولكنه فى نفس الوقت يشعر بوجوده

* التفرد: هو كل ما يفرق بين الناس، ويميز بعضهم عن بعض، وهو اتجاه يعرض من خلاله الفرد آرائه وسلوكه، مؤكدا على ذاتيته، إما أنانية أو طموح، وهو الاتجاه الذى يرى فى الفرد أساس القيم، وترجع الظواهر الاجتماعية والتاريخية إلى إرادة الفرد، وتطلق كلمة التفرد على أى كائن معقد التكوين، أو مظاهر سلوك، بينما تطلق كلمة الشخصية على مجموع صفات الكائنات البشرية وحدها.
وللمزيد فى معنى التفرد والفردية انظر:

- أحمد زكى بدوى، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص ٢١٢، ص ٢١٣.
- عبد المنعم الحفنى، مرجع سابق، ص ٣٤٩.
- ١- كولن ولسون، اللا منتمى، دراسة تحليلية لأعراض البشر النفسية فى القرن العشرين؛ تعريب أنيس زكى حسين، بيروت، دار الأدب العربى، ١٩٨١، ص ٧، ص ٢١٨.
- ٢- كالفن هول، جاردرنر ليندزى، مرجع سابق، ص ١٦٦-١٦٧.

الفردى وقيمه، لأن النمط الشخصى المنزول، هو مظهر من مظاهر الانسلاخ عن العالم الخارجى، فيعود إلى المركز، ما دامت الطبيعة الإنسانية تقوم على التباعد عن المركز، وخروجاً على الذات بالاندماج فى العالم الخارجى^(١).

ويعتبر الاندماج مع الجماعة، والعمل معها من أهم دعائم الانتماء، وعليه فإن للتشبه الاجتماعى دوراً الهام حيث للتدريب والممارسة منذ الصغر، وهذا ما أثبتته إحدى الدراسات من وجود علاقة ارتباطية بين الاتجاه الإيجابى نحو العمل لمصلحة الجماعة، وبين مستوى التكيف الاجتماعى، وأنه لكل من التدريب والممارسة الفطرية أثر بالغ فى نمو الصغار خاصة نحو العمل لمصلحة الجماعة^(٢).

وهكذا يتأكد ارتباط الانتماء بالروح الجماعية، لا الفردية، وإن كان يسمح بالفرد وتحقيق الذاتية، كما يؤكد على الهوية التى تنشأ من خلاله، وتقوى به فخراً واعتزازاً، فإذا ما عرف المواطن هويته، وإلى أى وطن ينتمى، ويتوحد مع أفرادها، اعتبر مصلحة هذا الوطن هى مصلحته الذاتية بعيداً عن الأنانية والفردية، وإن كان يسعى دائماً إلى ترك بصمته، وذاتيته على كل عمل خير ناجح محققاً ذاته، فإذا ضعف الانتماء، ضعفت الهوية، وتفتت الفردية، وسعى الفرد لمصلحته أولاً، ولو على حساب الآخرين فيسود التناقص السلبى وتحدث الصراعات والتفكك، مما قد يؤدي فى نهاية الأمر إلى تفكك بنية المجتمع وتخلفه.

(٤) الحب Love:

إن الانتماء المجرد يكشف عن وجود صفات تجعل الشئ المنتمى والمنتمى إليه، جديداً بذلك النسب، لاعتبارات جلية وخطيرة، وتقوم فى نفس المنتمى، ومن شأن وجودها، أنها تجعل الإنسان فخوراً به، سعيداً بالانتماء إليه، لما يولد ذلك الانتماء فى قلبه من معانى العزة والشرف، وفى وجدانه من مشاعر الفخر والاعتزاز، وإن شئت تلخيصاً لتلك المعانى فقل الحب Love، فالحب هو أقوى مظاهر الانتماء، وأهم عوامله أيضاً، لأنه هو الذى يكشف عن مدى وجود الانتماء، وهذا الحب لا يتولد من فراغ، ولكنه يجى وليد

١- مجلة أحمد محمود، مرجع سابق، ص ٢١.

٢- عناف أحمد عويس، تنمية اتجاهات الأطفال نحو العمل لمصلحة الجماعة، مرجع سابق، ص ٢٩٥.

مجموعة من الاعتبارات التي يحياها الإنسان، ويعيش بها، ويتشكل كيانه في الحياة من خلالها، فهي تمثل بالنسبة له النعمة والخير في أحلى ألوانه وأجمل معانيه، وعلى هذا النحو فالانتماء حقيقة لا يخرج عن كونه إحساس تجاه أمر معين، أو جهة محددة يبعث على الولاء لها، والفخر بالانتماء إليها، فالحب والانتماء وجهان لعملة واحدة، ولذا قرنهما "ماسلو" معا في هرمه الخاص بالحاجات، فلا يمكن أن يوجد انتماء في ظل كراهية، ونفور، والأشياء التي تستأهل حب الإنسان، هي ذات الخطر بالنسبة له، ومبعث الخير في حياته، وأنها هي التي تغمره فضلا، وتفرقه نعمة، ومع ذلك فإن مشاعر الناس تجاه الأمور متباينة، وولاءهم مختلف، ويرجع ذلك إلى اختلاف معايير الفكر عند بعض الناس، وتفاوت الرؤية عند بعضهم الآخر في النظر للأمور^(١).

والحب كشعور "يختلف في مظاهره السلوكية، ومحتواه العقلي، ولكنه يعتقد أنه يتضمن نوعية محددة وفريدة من التأثير والشعور بالارتباط والمودة لشخص ما، وأحيانا لشيء ما، ويميل وولع قوى، وإن كانت بعض النظريات تشير إلى أن مشاعر الحب شهوانية في جوهرها"^(٢).

والحب بمثابة قيمة جوهرية، ويمثل القاسم المشترك بين الانتماء وجميع القيم المرتبطة به، حيث يشير الحب إلى البعد الوجداني للقيمة، ولقد أجمع كل من قاموس علم الاجتماع^(٣)، وقاموس ويبستر^(٤) على أن الحب توحّد عاطفي قوى، يؤكد المودة والتفاني لطرف آخر (فرد أو جماعة أو وطن)، ويشير إلى ميل وولع وشدة اهتمام، وهو عملية سيكولوجية اجتماعية، ديناميية، متعددة الأبعاد. واتفق معهما في نفس المعنى موسوعة إكسفورد^(٥)، وقاموس اللغة^(٦) بأنه شعور قوى في عاطفته تجاه شخص ما، أو شيء ما، تشعر معه بضرورة حمايته ومساعدته، والتضحية من أجله.

١- عبد الله مبروك النجار، مرجع سابق، ص ٢٢ - ٢٣.

2- English, H. B. & English, A. C., Op. Cit., P.299.

٣- محمد عاطف غيث، قاموس علم الاجتماع، مرجع سابق، ص ٢٧٣.

4- Webster, S., Op. Cit., P. 868.

5- Toyce and M. Hawkins and Robert, Op. Cit., P. 854.

6- Cobuild, Collins, Op. Cit., P. 885.

ويرى "إريك فروم" أن الحب ليس قوى تهبط على الإنسان، كما أنه ليس واجبا مفروضا عليه، إنه قوته التي تربطه بالعالم، وتجعله عالما حقا، ان الحب حاله إيجابية ونشاط، وهو العطاء وليس التلقى، وهو الوقوف وليس الوقوع، وهو موقف، ومن أهم دلالاته (العناية، المسؤولية، الاحترام، المعرفة) وفي هذا الحب المنتج والمثمر، قهر للانفصال، وهو مصدر الحرية الحقيقية، وإيقاء على الذات في الوقت نفسه، وأنه يفضى إلى الوحدة، والاتحاد، ومع هذا لا يستأصل الفردانية^(١).

واتفق "إريكسون" مع "إريك فروم" على اعتبار الحب مفهوما واسعا يتجاوز الحدود الضيقة التي قال بها "فرويد" وأنصاره من أنه مجرد لذة شهوانية، حيث اتفقا على أن الحب فضيلة تتضمن معاني الاهتمام، والرعاية، والاحترام، والمسؤولية، ومن خلال تلك المعاني يحقق الحب أعظم إنجازاته، ولكي يؤتى للحب ثماره، لابد أن يكون المرء مركبا لهويته، لأن تشوه الهوية وتمزقها لا ينتج إلا الخوف، والانسحاب بعيدا عن العلاقات الودية الحبيبة، مما يعوق دائرة الحياة، ويحول دون النضج الكافي^(٢).

ويرى "هيجل" أننا "منفصلون في الحياة المباشرة ومغتربون، والحب هو الوسيلة لعبور هذا الانفصال وذاك الاغتراب، فالحب يقهر الانفصال، والحاجة إلى الوحدة شيء أصيل في الإنسان، وأن الحب ليس مجرد شعور داخلي، بل هو تجاوز للإنسان في الواقع، ونماذج في العالم الواقعي، وتجسيد موضوعي له^(٣)، فالحب يعمل دائما على إعادة وحدة المغترب، لأن الغربة تفرض الواحدية. والحب تتجلى أعظم قواه في تغلبه على أعظم انفصال، ألا وهو انفصال النفس عن ذاتها^(٤).

١- إريك فروم، فن الحب؛ ترجمة مجاهد عبد المنعم مجاهد، القاهرة، الأجلو المصرية، ١٩٨٠، ص ١٤.

2- Wright, Eugene J. R., Erikson, Identity and Religion; New Yourk, The Sea Bury Press, 1982, PP. 93-94.

٣- سها عبد المنعم مصور شبايك، مفهوم الحب عند اليونان والمسلمون؛ ماجستير، كلية البنات، جامعة عين شمس، ١٩٩٣، ص ١٩٣.

٤- بول تيليش، "الحب يقهر الاغتراب" في مجاهد عبد المنعم مجاهد، الإنسان والاعتراب؛ القاهرة، مكتبة عمالدين للطباعة والنشر والتوزيع، ١٩٨٥ ص ص ١٣٩ - ١٥٦.

وكل نظام طبيعي كان أو اجتماعي، هو قوة، لأنه يقوم على شكل ما للحب القائم بالتوحد، وهو كنظام يزيل الانفصال، ولذا فإن التأكيد على التآلف والتوحد على المستوى الإنساني، يطلق عليه روح الجماعة، التي بالتالي تجد التعبير عنها في كافة ما تقوم عليه في قوانينها، ومؤسساتها ورموزها، وأساطيرها، وفي أشكالها الثقافية، والأخلاقية، وكل عضو في الجماعة يجد في أعضاء المجموعة الحاكمة للجماعة تجسيدا لتلك المثل التي تؤكد، حينما تؤكدها الجماعة التي ينتمي إليها^(١).

والحب - كما يراه "فروم" - هو اتحاد مع شخص آخر، أو شيء آخر خارج المرء، مع احتفاظه بذاتيته، وهو الشعور بالقاسمة والاشتراك، ويسمح بإفصاح المجال الواسع لما يجذب الإنسان من نشاط داخلي، لأن المشاركة الإيجابية والمحبة تسمح لك بتجاوز وجودك الفردي، وفي الوقت نفسه، تمتلك القوى الإيجابية التي تمكنك من المحبة، ولايهم في الحب أن يكون في قلبك إحساس بالحب، فقد يكون الإحساس شعور بالتماسك الإنساني مع أبناء الجنس البشري كله، ففي الحب يصبح الفرد واحدا من الكل، وهو برغم ذلك - مستقل بذاته - ففي الإحساس بالحب نجد الحل الوحيد لمشكلة الإنسانية^(٢).

وتوجد علاقة بين حب الذات والآخرين، فالذاتية تجعل المرء دائما يحافظ على وجوده، وهناك فرق بين التفرد والفردية، أي بين الذاتية والأنانية (بمعنى حب الذات)، ويرى "شوينهور" Showpenhoor، أنه مع الفردية والأنانية يلاحظ أن كل فرد يريد كل شيء لنفسه، ويريد أن يجعلها مركز العالم، وينظر إلى كل مايجرى في العالم على أنه أحداث ووقائع من زاويته الخاصة، ويواجه المسألة الذاتية باهتمام بالغ، ويلقى شتى مصالح الآخرين بشئ من عدم الاكتراث، كذلك يؤكد الفليسوف الأخلاقي "جانكفتش" Gankifitish، أن حب الذات، بدايته هي نهايته، ومستقبله هو ماضيه، ولاينطوي على أي وجهة نظر، لا اتجاه له ولا أفق، وأما الحب الحقيقي، فإنه ينحو نحو الآخرين، وكل

١- بول نيلش، الحب والقوة والعدالة؛ ترجمة كامل يوسف حسين، القاهرة، دار الثقافة للطباعة والنشرو، ١٩٨١، ص

ص ١١٦-١١٧.

٢- إريك فروم، المجتمع السليم، مرجع سابق، ص ٣١-٣٢.

الآمال ميسرة له، وسماء العالم الخارجي مفتوحة له^(١). في حين يشير التفرد إلى التمييز، وما تتميز به كل شخصية إنسانية من قدرات ومهارات تتفرد بها عن غيرها من الأفراد. وهكذا فالحب هو دلالة التماسك، والتوحد وأهم مظاهر الانتماء، وعوامل قوته، وهو القاسم المشترك في كل الحاجات الإنسانية، وخاصة الحاجة للانتماء، فهو جوهر الانتماء ومعناه، ويفضى إلى الوحدة، والعلاقات الودية الحميمة، ويقهر الانفصالية، وينحو نحو الآخرين، متوحدا معهم، منتميا إليهم، ويشعر بالولاء نحوهم، عاملا على وحدتهم وقوة تماسكهم وتقدمهم.

(٥) الوطنية Patriotism، والمواطنة Citizenship، والجنسية

:Nationality

ورد معنى الوطنية في معجم العلوم الاجتماعية بمعنى حب الوطن * Patriotism، وأنها في كافة مظاهرها عبارة عن الدافع الذي يؤدي إلى تماسك الأفراد وتوحدهم، وولائهم للوطن، وتقاليده والدفاع عنه، ويتكون الشعور بالوطنية منذ سنوات التثنية الأولى، ومن ارتباط الفرد في أول عهده بالبيئة المباشرة، والمشاعر التي تتولد لدى المواطن، وقد لا تستند على التفكير بقدر ما تستند على الاستجابات العاطفية.

وتختلف الوطنية عن المواطنة الصالحة، ويقصد بها اهتمام المواطن بالصالح العام، وكان يقصد بها في الأصل، إخلاص المواطن لمبادئ الثورة الفرنسية في فرنسا^(٢). أما معنى المواطنة Citizenship: فهي 'صفة المواطن والتي تحدد حقوقه واجباته الوطنية، ويعرف الفرد حقوقه، ويؤدي واجباته عن طريق التربية الوطنية وتميز المواطنه بنوع

١- زكريا إبراهيم، مشكلة الحب؛ ط٢، القاهرة، مكتبة مصر، ١٩٨٥، ص ٣٩-٤٣.

* ورد تعريف للوطن لغويا بأنه (هو محل الإنسان، أوطان الغنم ومرابطها، أرض الوطن، وطنها واستوطنها، وأقطنها أي اتخذها وطنا، وتوطن النفس على الشيء كالتمهيد، والوطن قد تعين مشهد من مشاهد الحرب، قال تعالى: قد نصركم الله في مواطن كثيرة (سورة التوبة ٢٥). انظر:

- محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي، مختار الصحاح، مرجع سابق، ص ٧٢٨ .

٢- أحمد زكي بدوي، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مرجع سابق، ص ٣٠٧.

خاص بولاء المواطن لوطنه وخدمته في أوقات السلم، والحرب، والتعاون مع المواطنين الآخرين في تحقيق الأهداف القومية"^(١).

ولقد اتفق قاموس اللغة الإنجليزية^(٢) مع الموسوعة الدولية للعلوم الاجتماعية^(٣) في تعريف الوطنية **Patriotism** بانها حب الوطن والولاء له، وأنها تشبه القومية من حيث كونها عاطفة إنسانية تربط الفرد بوطنه، وأن الوطن ذو مدلول واسع. فقد يراد به الوطن الصغير مثل القرية التي يقيم بها الفلاح، أو القبيلة التي ينتمى إليها البدوي، أو يراد به الوطن الدولة بمعناها الحديث، والوطنية كالقومية، ترتبط بالدولة ارتباطاً قوياً وقومياً، وهي كقيلة بإثارة المشاعر الإنسانية، ومعايير قياس المشاعر الوطنية، قد تكون غير دقيقة فعلى سبيل المثال، قد يعتبر إهمال تحية العلم الوطني من الأعمال غير الوطنية، ولكن لا يمكن اعتبار نفس الفعل غير قومي، والوطنية نزعة من الشعب تجاه الوطن، وأكثر ما تبدو الوطنية في الأزمات والحروب.

فالوطنية تدل على معاني ضرورية في حياة الإنسان، وتشمل فضل الوطن على الإنسان، وواجب الإنسان نحو وطنه، في أن واحد بما يستتبع الدفاع عنه، وبذل المال والنفس من أجله، والعمل الدائب في سبيل نهضته ورفعته وتقدمه، والقاسم المشترك في تلك المعاني موجود في دخيلة غالبية الناس، في كل زمان ومكان، بما يجعل قيامها في مرتبة الأمور المسلم بها^(٤).

ولذلك فالوطنية هي "عاطفة ووجدان تجاه الوطن، يكون فيها الحب هو الإحساس الأساس لهذا الوطن"^(٥).

ويرى "إريك فروم" أن الوطنية هي: "اتجاه عقلي يضع الأمة فوق الإنسانية، وفوق مبادئ الحق والعدل، ولا يقتصر على الاهتمام بالتقدم المادي والأدبي في الوطن الذي

١- المرجع السابق، ص ٦٠، ص ٦٢.

2- Cobuild. Collins, Op. Cit., P. 1053.

3- Robert. Buch, "Patriotism" In David L. Sills (ed.), **International Encyclopedia of Social Science**; Macmillan Company. Free Press. 1963. P. 309.

٤- عبد الله مبروك النجار، مرجع سابق، ص ٢٥ - ٢٩.

5- English. H. B, & English, A.C., Op. Cit., P. 375.

ينتمى إليه المواطن، دون تسلطه على غيره من الأوطان، وكما أن حب فرد واحد دون الأفراد الآخرين ليس حبا بمعناه الحق، كذلك حب الوطن الذى لايمتد إلى الإنسانية جمعاء، ليس حبا بمعناه الصحيح. ويؤكد "فروم" أن عدم الاهتمام بالوطن دليل على انعدام المسؤولية الاجتماعية، والتماسك البشرى. بيد أن الاعتداء على غير المواطنين هو كذلك دليل على انعدام المسؤولية الاجتماعية والتماسك البشرى، ولا بد للإنسان أن يحرر عقله وحبه وان ينشئ عالما يقوم على التماسك البشرى الشامل، وعلى العدالة المطلقة، وأن يحس برباط الأخوة العالمية، وأن يخلق لنفسه صورة من صور الارتباط البشرى، كى يحول دنياه إلى وطن إنسانى حقا^(١).

وهكذا تجاوز "فروم" الحدود الجغرافية للوطن، إلى الحدود الإنسانية بمعناها وجوهرها من حب والتزام ومسئولية وعدالة، هدفها جميعا التماسك البشرى، وإن كانت الباحثة ترى أن حب الفرد لوطنه يجعله يحترم معنى الوطن، وكيان الأوطان الأخرى، ويجب ألا يتجاوز حبه لوطنه الإنسانية، ومبادئ الحق، والعدل، لأن هذا التجاوز يحول دون الأمن والاستقرار والسلام، بل يشجع على العدوان والحروب، خاصة إذا كان هذا التجاوز تدعمه الأطماع والقوة، فتدفعه إلى الجور على أوطان أمنة، وهذا ينتفي مع معنى الوطنية. ولقد استخلصت إحدى الدراسات تصنيفات للوطنية مشيرة إلى فئاتها المختلفة وجاءت على النحو التالى:

- الوطنية الفطرية: تشير إلى الحب المؤثر بصدق لكل من الوطن، الأمة أو البيئة المحلية، واعتبار كل من يسلب خيره فهو خائن.
- الوطنية البيئية: وتشير إلى مدى التعهد والولاء للأرض، والمحافظة عليها من أجل الأجيال المقبلة.
- الوطنية المؤسساتية: وتشير إلى الولاء للنظام الحكومى ولأجهزة الدولة.
- الوطنية الديمقراطية: وهى بمثابة التزام بالميثاق والمبادئ مثل المشاركة، المواطنة، والثقة فى قوى الدولة.

١- إريك فروم، المجتمع السليم، مرجع سابق، ص ص ٤١-٤٢.

- الوطنية القومية: وفيها تسمو المشاعر وتتجاوز الأمة إلى التعهدات لكل الجنس البشري، والولاء للعالم والسلام، ويفترن ذلك بالتوقع بأن المواطن الجيد هو ذلك الذى يدفع حكومته فى هذا الاتجاه.

- الاستثنائية Exceptionalism: وتشير إلى التميز Distinguishion حيث الاعتقاد بأن لكل بلد تميزها الخاص ببعض الخصائص الاجتماعية تتضح فى نوعيات المؤسسين، أو فى القوى الاجتماعية للمواطنين، أو قوتها الحربية أو نظامها الاقتصادى^(١).

كما أسفر تطبيق أداة بحث "إزابيل ويلكرسون" Isabel Wilkerson التى وردت فى دراسة لها فى نيويورك عام ١٩٩١، عن "مدى وضوح معنى الوطنية فى أذهان المواطنين، وأشارت الدراسة للفرق بين المفاهيم المختلفة مثل (الحكومة)، (الوطن) فى معنى الوطنية كما جاء فى تفسيرات المبحوثين، وذكرت على سبيل المثال قول أحدهم، "استطيع تماما أن أكره الحكومة، ولكن أحب وطنى، وأيدت أن الوطنية تعنى حب الأرض، وحب البلد، وحب الشعب، وأنها بمثابة رباط يربط المواطن بالحاضر، ويجعله يقدر بفخر وإعجاب طرق الحياة ووسائلها فى وطنه، وأن الوطنية تجعل الوطن عظيما من الداخل، والخارج كذلك أيدت الدراسة أن الأعمال التى تسمى للرموز الوطنية، هى دلالة على الخيانة وضعف الوطنية، ومثال ذلك الإساءة إلى العلم الوطنى، أو حرقه، واعتبرت أن الولاء الحقيقى، إنما هو بحب الوطن، والإتيان بالأفعال التى تؤكد هذا الحب للوطن"^(٢).

وهكذا تشير الوطنية إلى مشاعر الحب والولاء التى تكمن فى الانتماء للوطن، حب للبلد، وللأرض، وللشعب، وفخر بالتراث والحضارة، وتتجلى مظاهرها فى الالتزام بالحقوق والواجبات، واحترام القوانين والمعايير السائدة فى الوطن، والتوحد معه، والعمل على حمايته والدفاع عنه وقت الأزمات بكل غالى ونفيس، حرصا على تماسكه ووحدته، واستمرارية بقاءه وسلامته، وعملا على نمائه وتقدمه، هذا مع ضرورة الوضع فى الاعتبار أن ثمة تباينا جوهريا بين مفهومى الوطن، والسلطة.

1- Sullivan. John L., (eds.) "Patriotism. Politics, and the Presidential Election of 1988", American Journal of Political Science; Vol. 36, No. 1. Feb., 1992, PP. 200-234.

2- Ibid, P. 208.

ارتباط مفهوم المواطنة بالجنسية Nationality:

يستخدم مصطلح الجنسية في العلوم الثقافية والقانونية، ومصطلح ثقافي يشير إلى الحالات التي تتعلق بالعرقية، واللغوية، والأيدولوجية للأفراد، والجماعات، لذا فإننا نقول أن هذا ألماني، وذلك إيطالي، وثالث مصري ... إلخ دون أن ينظر إلى وطنه كمكان لإقامته أو جنسيته القانونية، أما في العلوم ذات الاهتمام بالأمور الثقافية حيث المعنى الثقافي لمصطلح (الجنسية) خاصة إذا كان المعيار اللغوي للجنسية يمكن تطبيقه، فهناك حالات تعدد الجنسيات، فمثلا الجنسية الألمانية لا تشير فقط إلى هؤلاء الذين يقيمون في ألمانيا الشرقية أو الغربية، فيمكن أن يوجد غيرهم كثيرون يحملون الجنسية الألمانية ويعيشون في سويسرا، وفي أستراليا، وغيرها من البلاد، ومثل هذه المواقف المتعددة، يتطلب الأمر التعامل مع العديد من المعاهدات من أجل حماية العنصرية، والعرقية، واللغوية، بالإضافة إلى المطالب السياسية الخاصة بوجود الأفراد⁽¹⁾.

وجاء في تحليل "برنارد" و"هيلين بوزنكيه" Bernard and Helen Bosanteu لمفهوم المواطنة، بأنه مفهوم شديد الارتباط بالسلطة، أن هناك اختلاف بين أن يكون الفرد مواطنا في الدولة، وبين أن يكون فيها مجرد إنسان، ولكي يكون مواطنا في الدولة، فالأمر يستلزم ضرورة أن يكون على درجة من الوعي بأنه يعيش وسط جماعة، يحكمها العديد من المعايير والقوانين، وهذه القوانين بمثابة القوة إلى جانب السلطة، وعلى الفرد المواطن أن يلتزم بها، كما أشاروا إلى وجود علاقة بين كل من المواطنة والفقر، والطبقة، والسوق.

ويرى "بوزنكيه" أنه طالما أعضاء المجتمع مواطنين متساوين فيه، فلا بد وأن يكون الولاء الأول والأعظم للمواطنة وليس للطبقة، إلا أن "هيلين" أضافت معترضة على آراء كل من "ماركس" و"انجلز" في الصراع الطبقي قائمة بوجود كثير من المحنكين المراوغين الذين يحاولون إعلان مبدأ "ماركس" و"انجلز" في النضال الطبقي، إلا أن هذه الصيحة وجدت صدى ضعيفا، لأن سياسة صراع الطبقات تم التخلي عنها، في محاولة الوصول

1- Wright. Quincy, "Nationality" In Encyclopedica American; Nauvoo, Deluxe Library, Edition Meyer, Vol. 19, 1990, P.787.

إلى حل - وهي في ذلك مؤيدة الاتجاه النقدي وما قال به "هربرت ماركيزوز" - ويشير "بوازنيكه" إلى دور التبادل الاقتصادي وأثره على المواطنة، والرفاهية الاجتماعية، والعلاقات الاجتماعية بين الأفراد، فيرى في الأخيرة إشارة إلى البعد الأخلاقي في تعامل الأفراد، وإنه إذا اقتصر التعامل على الأسلوب التجاري فقط، فقد يؤدي إلى هدم كل من الحياة الاجتماعية، والقوة الإنسانية، ويشير "ماريشال" T. M. Marshall لقضية الفقر ويعتبرها من أهم مشكلات معظم الدول في القرن العشرين، واعتبر الفقراء هم المحرومون من المشاركة والاستمتاع بمظاهر الحضارة والمدنية، ولا بد من اتساع حقوق المواطنة الاجتماعية لهؤلاء الفقراء، من أجل الوصول إلى الاستقرار والتماسك⁽¹⁾ الذي في النهاية يقوى الانتماء ويدعم الهوية.

وهكذا ارتبطت الجنسية بالمواطنة، والوطنية، والفقر، وتجاوزت حدود مكان الإقامة الضيق، معلنة عن هوية الفرد، ومشيرة إلى ولائه وانتمائه لوطنه.

(٦) الاغتراب Alienation:

حينما يضعف الانتماء ويشوبه الخلل، فإن ذلك يشير إلى وجود الاغتراب، باعتباره المقابل السلبي للانتماء، و"دلالة على تزييف الوعي، وأزمة الهوية، حيث يشير الاغتراب إلى افتقار العلاقات، وخاصة عندما تكون هذه العلاقات متوقعة، ومعه تبدو الأشخاص، والمواقف الشائعة غريبة"⁽²⁾.

فالاغتراب يشير إلى الدرجة التي يشعر فيها المرء أنه يفقد القوى التي تمكنه من إنجاز دوره المطلوب منه في الحياة في مواقف بعينها. ويستطيع المرء أن يجعل أفعاله ذات معنى، ويؤكد انتماءه لجماعته، ويتجنب العزلة الاجتماعية، إذا تمكن من تغيير ظروفه، واستطاع أن يؤدي دوره المطلوب منه.

ويرى البعض أن الاغتراب "هو حالة الفرد السيكولوجية، ووصف الشخص المغتراب بأنه هو ذلك الشخص الذي يشعر بأنه غريب عن مجتمعه، وعن الثقافة التي يمثلها

1- Vincent. Andrew, "Citizenship, Poverty and Real Will" *The Sociological Review*, Vol. 40, No. 4. Nov. 1992. P. 711. PP. 715 - 716. P. 766.

2- English, H. B. & English. A.C., Op. Cit., P. 22.

المجتمع، وأن الفرد المغترب الآن ليس بالضرورة أن يكون مغترباً من قبل، أو على الأقل لم يدرك أنه مغترب الآن، وقد قام "دين" Dean بتصميم مقياس للاغتراب تضمنت عناصره (قياس العجز Powerless، اللامعيارية Normlessness، العزلة الاجتماعية Social Isolation) لقياس مدى التفاعل الاجتماعي^(١).

كذلك حاولت إحدى الدراسات قياس الاغتراب من خلال النظام الاجتماعي، وإعداد مقياس لقياس الاغتراب من خلال ثلاثة أبعاد (مدى الإشباع، المشاركة، المعرفة) وتطبيقه على أحد التنظيمات الزراعية التعاونية، كتطبيق اجتماعي يضم بداخله جملة أعضاء ومنتجين ويعملون معاً لإنجاز عمل محدد وهو هدف التنظيم. واستطاعت الدراسة قياس درجة الاغتراب لدى الأفراد داخل هذا التنظيم التعاوني عن طريق تحليل الفقرات التالية:

- من يمتلك التنظيم، شعور الفرد لزاء التنظيم، حرية الفرد في تعبيره عن رأيه في إدارة التنظيم، الفرد كعضو مشارك في التنظيم، وذلك على مدرج من صفر إلى ٢٠، وتشير الدرجة الأعلى إلى درجة اغتراب أعلى، وجاءت الفقرات كلها تشير إلى ضرورة معرفة الفرد كعضو منتسب إلى هذا التنظيم بكل أمور التنظيم، وضرورة مشاركته كعضو فعال فيه، وسعيه الدائم لتدعيم مكانته لتحقيق الإشباع الذاتي له، الذي بالتالي يدعم انتمائه وولائه له، وهويته به. وتوصلت الدراسة إلى وجود درجة عالية من الاغتراب ترتبط بدرجة عالية بعدم إشباع التنظيم لحاجات أعضائه، بلغت نسبتها ٦٢%، وكذلك وجود ارتباط منخفض بين كل من الاغتراب والمشاركة بلغ ٣٧%، وبين الاغتراب والمعرفة بلغت ٣٠%، وإن كان لا يوجد ارتباط بين درجات الاغتراب وعمر الأعضاء أو سنوات العضوية^(٢).

ويشير الاغتراب كعملية معقدة إلى تحول إنتاج النشاط الإنساني وقدراته إلى شيء مستقل عنه، حيث يفصل الفرد عن نفسه وعمله، ويصبح غريباً حتى يكاد يفقد إنسانيته كلها، وقد يأخذ الاغتراب صوراً شتى: منها ما هو على مستوى الإنسان نفسه، ومنها ما هو على مستوى التنظيم الإنتاجي، ومنها ما هو على مستوى النسق الاجتماعي ككل،

1- Clark. John P., "Measuring Alienation within Social System" A Social American Sociological Review; Vol. 24, No. 4, Dec. 1959, P. 849.

2- Ibid., PP. 849 - 852.

ويشير ماركس إلى وجود علاقة ارتباطية جوهرية بين الاغتراب والملكية الخاصة، لهذا فإن نظام العلاقات الرأسمالية يتميز بظاهرة اغتراب العمل، لأسباب موضوعية كافية فى علاقات الإنتاج، ونسق السيادة الطبقي، مما يؤدي إلى انفصالهم عن العمل ونتاجه، كما يؤدي إلى اغترابهم عن ذاتهم، فيسبب لديهم شعورا باليأس وعدم الرضا، فلا يستطيع أن ينمي طاقاته الفيزيائية أو العقلية بحرية، وقد لا يجد ذاته إلا فى وقت فراغه^(١).

والمرء حين يكون مغتربا عن نفسه، وحتى عن إنتاجه وعمله، فإنه "يشعر بفقدان وجوده كإنسان، قد حرم التمتع بما لديه من صفات بشرية، كما أنه يشعر باغترابه عن إخوانه من البشر، نتيجة إحساسه بفقدان هويته الإنسانية، ومعنى أن يفقد هويته، أنه تحول إلى شئ، وبالتالي حرم أن يتمتع بحقوقه الإنسانية"^(٢).

وتبحث كتابات "ماركس" فى شكل العمل فى المجتمع الحديث، "من حيث إنه يشكل الاغتراب الكلى للإنسان، ويؤدي استخدام ماركس لهذه المقولة إلى الربط بين تحليله الاقتصادي، وبين مقولة أساسية فى الفلسفة الهيجلية، حيث أعلن "ماركس" أن تقسيم العمل الاجتماعي لا يتم على أساس مواهب الأفراد ومصالحة الكل، بل يحدث وفقا لقوانين الإنتاج الرأسمالي للسلع فقط، والتي بمقتضاها يصبح ناتج العمل متحكما فى طبيعة النشاط الإنسانى وغايته، وبعبارة أخرى، فإن الموارد التى ينبغى أن تخدم الحياة تصبح مسيطرة على معنى ومضمون الحياة وهدفها، ويصبح وعى الإنسان ضحية لعلاقات الإنتاج المادى"^(٣).

ولا يتردد "إريك فروم" فى أن يتهم المجتمع بأنه مجتمع غير سوى، وقد يكون سببا فى اغتراب أفراد عنه، وفضل أن يتهمه بالعصابية، ولا يتهمه بالمعاداة لأبنائه، مناوئا لسعادتهم وتحقيق ذاتهم، وذلك المجتمع هو الذى يشعر أفراد بالشلل، ويفتقدون النمو فى شخصياتهم، واعتبر فروم الشخص الذى فى حالة تكيف مع المجتمع هو: ذلك الذى

١- أحمد زكى بدوى، معجم المصطلحات الرعاية التنمية الاجتماعية، مرجع سابق، ص ١٨. راجع فى هذا الصدد:

- على ليلة، مرجع سابق، ص ٢٧٠.

- محمد عاطف غيث، مرجع سابق، ص ٢٠.

٢- محمود عبد الحميد حمدى، مرجع سابق، ص ٢٤.

٣- هربرت ماركوز، العقل والثورة، هيجل ونشأة النظرية الاجتماعية، مرجع سابق، ص ٢٥٧.

يستطيع أن يؤدي دوره الاجتماعي، وبلغة مقياس القيم الإنسانية فهو شخص ذو قيمة، عكس الشخص الذي في حالة عدم تكيف مع المجتمع، فهو يتسم بسمات تقلل من قيمته، ولذا فإنه يرى أن من على درجة عالية من التكيف مع ذلك المجتمع، هو في حياة أقل صحية من ذلك العصابي (بلغة القيم الإنسانية) لأن تكيفه هذا على حساب نفسه، ومعه يفقد ذاته الفردية التلقائية. في حين أن الشخص العصابي يقدم تنازلات من أجل ذاته، وبدلا من أن يكون معبرا عن ذاته بإيجابية، ينسحب إلى حياة وهمية خيالية، وكذلك يرى فروم أن الهروب ليس حلا، وإنما على الفرد أن يربط نفسه بالعالم حوله بالحب والعمل، معبرا عن مشاعره الحقيقية، وإحساسه وقدرته العقلية، ليصبح متفاعلا مع من حوله، ومع الطبيعة، ومع نفسه، دون أن يتخلى عن استقلاليتها، مؤكدا ضرورة اندماجه كفرد مع من حوله، لأن انفصاله عن حوله، يعني هروبه، ويجعل الحياة صعبة أمامه، ففي العزلة والهروب تنعدم السعادة الحقيقية والحرية الإيجابية، وإن كان اللجوء إليهما حلا قد يهدئ القلق ويجنب الرعب، إلا أنه لا يحل المشكلات الأساسية، وهنا تصبح الحياة مجرد أنشطة وحركة آلية بلا معنى^(١).

إن الفكرة السائدة عن الاغتراب في فكر "إريك فروم"، هي فقدان النفس لذاتها، وفي هذا الفقد، تكتسب ذاتا ليست هي الذات الحقيقية، أو ما يجب أن تكون عليه حقا، ولقد اختار المغترّب أن يهرب من نفسه، ويفقد نفسه، ويؤمن بالقيم الزائفة التي ليست من صنعه، لأنه لا يستطيع أن يحتمل العيش وحيدا، ومع فقدان الإنسان لذاته يصبح مثل الماكينة التي يخترعها، ويتنازل عن نفسه للفردية التي تميزه عن غيره، ويصبح إحساسه بذاته ليس وليدا لأنشطته، بل يعاني العزلة، والوحدة النفسية، لأنه انفصل عن ذاته، وعمن حوله في مجتمعه الذي يفترض أن يكون منتعيا إليه^(٢).

1- Fromm, Erick. **Escape From Freedom**; NewYork, Rinehart & Company Inc., 1971, PP. 138-144.

٢- إريك فروم، فن الحب، مرجع سابق، ص ٥-١٧. و للمزيد حول الاغتراب انظر:

- Fromm, Erick, **The Sane Society**; Op. Cit., PP. 10-35.

- Schaar, John H., **Escape Form Authority, the Prespective of Erick Fromm**; New York, Basic Books Inc., Publishers, 1961, PP. 159-168.

- محمود رجب، الاغتراب، سيرة مصطلح ط٤، القاهرة، دار المعارف، ١٩٩٣، ص ٣-٢٧.

وهكذا تتضح العلاقة بين الاغتراب والانتماء، باعتبار الاغتراب المقابل السلبي للانتماء، أيضا وجود علاقة بين التسلبية والاعتراب، تلك التي تدفع الفرد إلى السعي للتوحد مع غيره، لذا نجد أن انتماءات الإنسان تختلف باختلاف أساليب الهروب من وحدته وعزلته، فإذا كان مفهوم الانتماء يعنى العضوية فى جماعة، والاندماج فيها والتوحد معها سعيا لنمو الفرد، وتحقيق ذاته داخل الجماعة، وبالتالي نمو الجماعة وتطورها، مع احتفاظ الفرد بتفرده وتميزه، فإن الاغتراب على النقيض، حيث يصبح الإنسان مثل الآلة داخل مجتمعه وليس صانعا لأفعاله، وغير متحكم فيها، بل نجدها تتحكم فيه، ويصبح خاضعا لها، وفى هذا اتفق كل من "هيجل"، "ماركس"، "ماركيوز"، "إريك فروم"، على أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش وحيدا، فإنه قد يهرب من نفسه المغتربة إلى سلطة، قد تكون سلطة سياسية، أو سلطة العرف والقوانين والتقاليد، باحثا عن الانتماء وخوفا من الوحدة والعزلة، وقد تكون هذه السلطة أيضا مغتربة، وتستطيع بأساليبها المقنعة، أن تجعل المغترب يهرب من نفسه إليها، والتي تسلبه بدورها الفكر، فيفقد ذاته وفرديته، ليستطيع أن يعيش فى كنف هذه السلطة، دون شعور بالوحدة والقلق، وهنا يصبح مغتربا وربما داخل كيان هو أيضا مغترب.

كذلك يعكس الاغتراب خبرة محدودة بمشاعر الصداقة والمودة والألفة، حيث يكون الفرد غير قادر على مناقشة مشكلاته مع أصدقائه، وهذا ما أكدته بعض الدراسات، حيث أشارت إلى صعوبة أن يكون المغترب علاقات اجتماعية، قائمة على الصداقة والمودة، وكما أن الانتماء يتوقف على الخلفية الثقافية للفرد، فإن الفرد يحتاج للعيش مع الآخرين، حتى وإن اختلفوا معه فى أساليب حياتهم، كما يوجد ارتباط دال بين الانتماء وسمات شخصية الفرد والشعور بالذات، وكذلك يوجد ارتباط قوى بين المشاركة الوجدانية، ودرجة سعادة الفرد، ودافع الراحة والأمان، فإن الاغتراب كثيرا ما يتسبب فى انخفاض درجة الإنجاز لدى الفرد، وإذا تحقق هذا الإنجاز،

فإنه لا يضيفى بهجسة على المغترب وغالبا ما يعجز المغتربون عن تحقيق نواتهم^(١).

استخلاصا مما سبق، من خلال تناول المفاهيم المتداخلة مع الانتماء والمرتبطة به (الولاء، الانتماء، الوعي، الهوية، الفردية / الفرد، الوطنية / المواطنة، الحب، والاعتراب كمقابل سلبي للانتماء) يتضح أنه لا يمكن فصلها عنه أو تجاهلها، إذا أريد دقة البحث في الانتماء، فهي بمثابة مقومات وركائز ترتبط به وتتداخل معه. فالانتماء أشد ارتباطا بالوعي، والهوية وليدة الانتماء وتنشأ عنه، ودلالة على وجوده، فلا هوية بدون جماعة الانتماء الذى بدوره يشجع الفرد والتميز ويسعى لتحقيق الذاتية، ويرفض الفردية والسلبية والأناية، وتأتى الوطنية لتعبر عن المشاعر الإنسانية تجاه الوطن، وهى دلالة وجود الولاء، والعاطفة نحوه، مؤكدة على الحقوق والواجبات المتبادلة بينهم، ومتضمنة الحب، الذى هو القاسم المشترك بين هذه المفاهيم جميعا، والتي تركز عليه كقيمة جوهرية، وتنطلق منه كقاعدة راسخة، لأنه يستحيل وجود انتماء، حيث للتوحد والانتماء والعضوية فى جماعة ما، والتقبل منها والتقبل لها دون حب، فهو العاطفة القوية التى يركز عليها هذا المفهوم، وهو وجدانه كقيمة، وتتجلى صورته فى الولاء لهذه الجماعة، كما يؤكد على العطاء لا التقى، ويعلن عن الانتماء قاهرا الانفصالية والاعتراب، ومشيراً إلى فخر الانتماء والاعتزاز بالهوية، ومعه تتجاوز الذات المعتدلة التى تحفظ للمرء فردة، وتدفعه إلى الجماعية، والانتماء مع الآخرين، ويرفض سبى الأناية والفردية لمصالحها المؤكدة على السلبيية واللامبالاه تجاه الآخرين، والتي دائما ما تتعارض مع مقدرات المجتمع وتعمل على تفككه وتدهوره بل وتخلفه.

-
- 1- Collins, B. M., "A Study of Relationship of Alination to the Constructs of Inclusions, Achivement and Affiliation in Selected Private Schools", Diss. Abs. Inter., (A) Vol. (41), No. (2) June, 1981, P. 5049.
- Hill, C.A., "Affification Motivation, People Who Need People, But in Different Ways". Journal of Personality and Psychology; Vol. 52, No. 1, 1987, PP. 47-55.

ومن هنا كان من الضروري رصد وتحليل واقع الانتماء للوطن في إطار البناء الاجتماعي والنسق القيمي للمجتمع المصري، وخاصة عقب سياسة الانفتاح لما لها من دور فعال فيما صارت إليه الظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، وصولاً لواقع الممارسات التربوية التي لها أثرها على واقع الانتماء للوطن ومظاهر هذا الواقع.